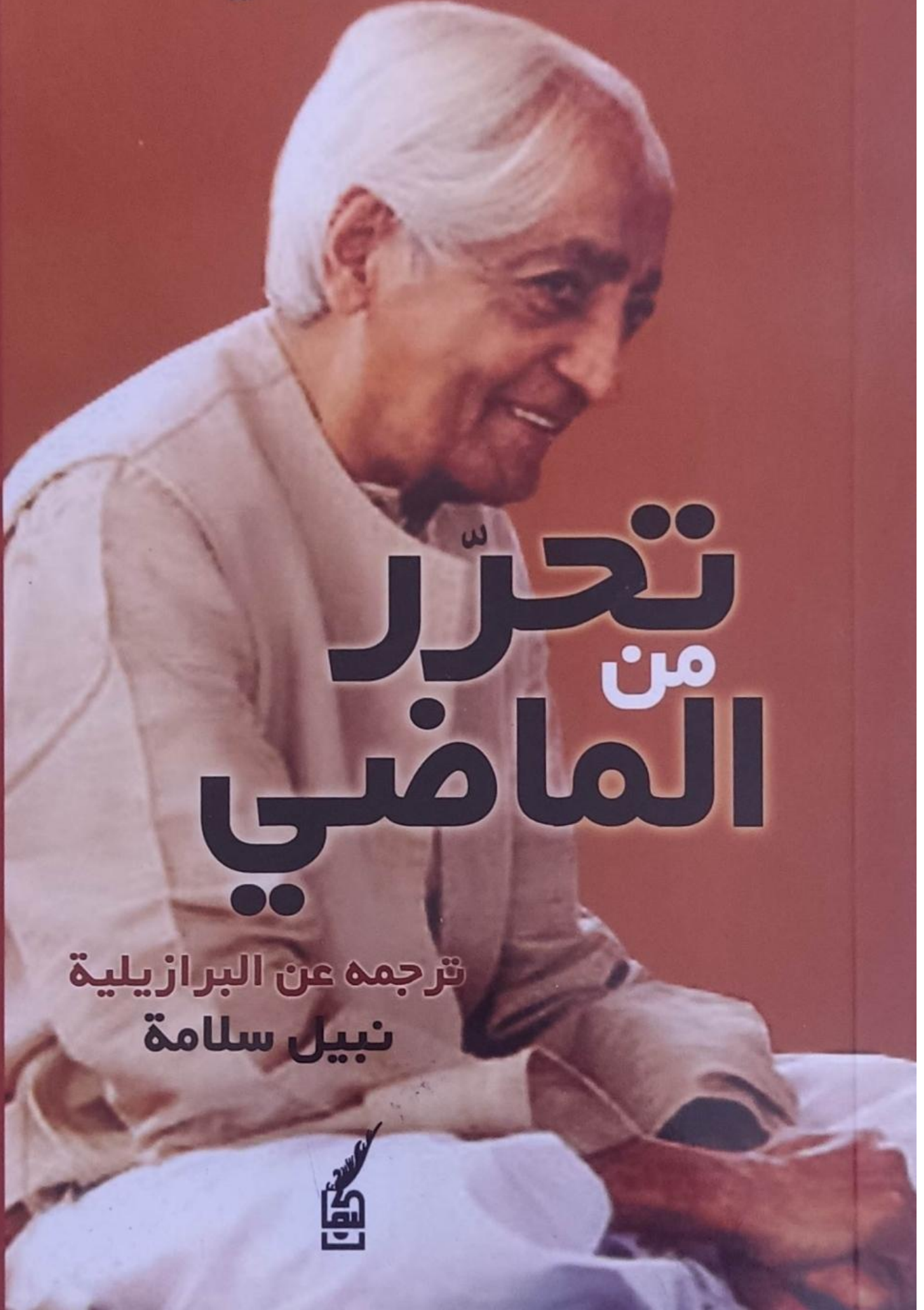


جدو كريشنا مورتى



تحرر من الماضي

ترجمه عن البرازيلية
نبيل سلامة

دار
الكتاب

نحزّر من الماضي

تحرّر من الماضي

تأليف: جدو كريشنا مورتى

عنوان النص الإنكليزي: freedom from the known

عنوان الترجمة البرازيلية للنص الإنكليزي: Liberte - se do conhecido

عنوان الترجمة البرازيلية بإصدارها عن دار Cultrix: Liberte - se do passado

ترجمه عن البرازيلية: نبيل سلامة

عدد الصفحات: (152)

القياس: (22 ♦ 14.5)

الناشر: دار كنعان

للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية

جميع الحقوق محفوظة

دمشق - ص ب 443 تليفاكس: (+ 963 - 11) 2134433

E-mail: said.b@scs-net.org

الطبعة الأولى: 2017 / عدد النسخ 1000

إخراج: لبنى حمد

الإشراف العام: سعيد البرغوثي

جدو كريشنا مورتى

نحرر من الماضى

ترجمه عن البرازيلية

نييل سلامة

عنوان النص الإنكليزي:

freedom from the known

عنوان الترجمة البرازيلية للنص الإنكليزي:

Liberte - se do conhecido

عنوان الترجمة البرازيلية بإصدارها عن دار Cultrix:

Liberte - se do passado

الترجمة الحرفية للعنوان: التحرر من المعلوم

ملاحظة:

بالنسبة للناشر البرازيلي بعد قراءة وترجمة النص قامت لجنة الترجمة بحوار حول العنوان الذي بدا لهم أنه سوف يكون مبهماً بالنسبة للقارئ، وارتأوا أن «المعلوم» بالنسبة لحكمة كريشنامورتي هو كل شيء ينتمي إلى الماضي، فما من معلوم من دون ماضٍ، وبالتالي فالتحرر من المعلوم ضرورة قصوى لاكتشاف الحب والحقيقة والأبدي، وهي عملية اكتشاف وليست عملية معرفة، ولكن أولاً أن نتحرر من المعلوم، وبالتالي ارتأوا تسهيلاً للقارئ أن يضعوا عنواناً أسهل لفهمه هو: «التحرر من الماضي» لطالما أن المعلوم هو الماضي والماضي فقط.

كريشنا مورتى

وُلِدَ جيدو كريشنا مورتى عام 1895 في جنوب الهند، وتم تعليمه في إنكلترا. ناهيكم أن تعليمه أشرف عليه أهم شخصيتين ثيوصوفيتين في ذلك الوقت ألا وهما آنى بيزانت والليد بيتر الكاهن الكاثوليكي الحر. ووفقاً للمعتقد الثيوصوفي، والحق يُقال إن معتقداتهم هي خليط من الهندوسية والبوذية والمسيحية والإيزوتيرية (الباطنية). هذا الخليط الذي وضعته مؤسسة الثيوصوفيا هيلينا بتروفنا بلافاتسكايا في كتابها الكبير متعدد الأجزاء تحت اسم «العقيدة السرية». إذن وفقاً لمعتقدهم المستمد على نحو خاطئ من البوذية هو أن مجيء «معلم العالم» كان موشكاً، وهي عقيدة منتشرة في الأديان كلها تقريباً، وتظهر بشكل واضح في المسيحية التي تحكي على ذمة تلاميذ ورسول المسيح حول ما يسمونه «المجيء الثاني للمسيح» هذا من جهة، ومن جهة أخرى نرى في الإسلام أيضاً انتظاره عودة «عيسى» وهو اسم المسيح في القرآن، وعودة عيسى يشير إلى نهاية الزمان، وفي الإسلام الشيعي ينتظرون المهدي المنتظر، واليهود أيضاً ينتظرون مسيحهم الدنيوي الذي يحكم الأمم وتسود الألفية الثالثة الذهبية بعد حرب هرمجدون التي هي حرب الحروب التي تسرع وتسهل من مجيء مسيحهم الدنيوي المنتظر الذي

سوف يأتي بعد انهيار مسجد القبة والاستعداد لبناء هيكل سليمان
الثالث لكي تحكم «إسرائيل» إلى الأبد...!!

اعتقد الثيوصوفيون بمجيء «معلم العالم» وفقاً للفهم الخاطئ
للمعتقد البوذي، كما جرى فهماً خاطئاً لكثير من المعتقدات الأخرى التي
دمجتها الغيبية بلاهاتسكايا في مركب عجيب غريب أطلقت عليه اسم
الثيوصوفيا!! . إذن وقع الاختيار على كريشنامورتي الذي اكتشفوه آنذاك
من خلال والده الذي كان يعمل لدى الثيوصوفيين، فاكتشفوا عنده
كفاءات تشير إلى إنسان له مستقبل كبير، ولكنهم كانوا محتررين في
الاختيار بينه وبين أخيه الأصغر سناً. وهكذا عولوا آمالاً كبيرة على
كريشنامورتي وأخيه، وقرروا أن الاختيار سوف يقع على من ينجح
ويثبت أمام الاختبارات الصعبة المزمعين المرور بها أي كريشنامورتي
وأخوه. كان التدريب قاسياً منذ التاسعة من عمر كريشنامورتي فقد كان
عليه النهوض في الرابعة من كل صباح لممارسة التأمل، وتم فرض نظام
صارم لأوقات النوم، والتأمل، وطريقة تصرفه هو وأخوه، والثياب التي
يرتديانها، ومع من يتكلمون، ومن يتجنبون، والالتزام الطويل بالعزلة
والصمت والطعام القائم على الغذاء النباتي، والصيام... الخ.. نعم لقد
كان الأمر قاسياً بالنسبة لطفلين في عمرهما هذا... وإلى جانب ذلك
كله كان يجري تلقينهما علوم الثيوصوفيا... وسنة بعد سنة... بدأ ينال
الإرهاق والتعب من هذا النظام الصارم لشباب في مقتبل العمر، أخو
كريشنامورتي لم يستطع المقاومة والاستمرار فمرض ومات... ولكن
كريشنامورتي الذي قارب العشرين من عمره، كان هائماً بحب أخيه
حتى العبادة، كان أخوه بالنسبة إليه هو العالم بأسره، هو الكون كله...
كان يعني له وسط هذا النظام القاسي، جمال الحياة والحب الذي
يسكبه الكون على الإنسان... ولكن هيهات أن يكتب، أو أن يُصاب

بصدمة نفسية، أو ينتحر بسبب مصابه هذا، ومأساته الأليمة، فأخوه كان كل شيء بالنسبة له... بالتأكيد حزن كريشنامورتي، وبالتأكيد شعر بالكآبة أيضاً!!، ولكن بالنسبة لشخص فيه كل مكونات الروح العظمى فمن المؤكد هنا في هذا الحدث الدرامي أن يحصل شيء ما، فالكآبة في تعريفها هي نهاية المطاف السيكولوجي في هذا العالم. نعم، فالإنسان المكتئب يشعر أن مطافه في هذا العالم قد فقد معناه، وفقد متعته وسروره وروعته... لم يعد يعني له شيئاً، فقد أصبح العالم أرضاً يباباً بالنسبة له، ومجرداً من المعنى... وهكذا تكون الكآبة هي نقطة نهاية السطر، يتوقف عندها نمو الشخص وحياته، عندها يتوقف ولا يغادر مكانه أبداً...

ولكن الأمر مختلف بالنسبة لكريشنامورتي فالكآبة التي عصفت بروحه، حولته إلى الأبد، لقد تجاوز النقطة في نهاية السطر مجازاً التي تحدثنا عنها لتونا. ولكن هذا لا يحدث ما لم يمت عن العالم بكليته، ويولد ولادة جديدة... ولكن ما الذي حصل بالضبط على المستوى السيكولوجي الروحي عند كريشنامورتي؟! في الحقيقة إن كريشنامورتي الذي دأب تحت إشراف معلميه الثيوصوفيين على التأمل، وكان هو شخصياً بعيداً عن أنظارهم يقترب شيئاً فشيئاً، وأكثر فأكثر من جوهره العميق... وكان قد أسس الثيوصوفيون بتمويل كبير مؤسسة أو أخوية لأجله، أسموها «كوكب الشرق»، ويقصدون به «كريشنامورتي» الذي سوف يكون كالمسيح «معلم العالم» الذي يتهيا للظهور للبشرية على أيدي الثيوصوفيين..!!

إذن، نعود إلى حادثة وفاة أخي كريشنامورتي، والكآبة التي جاءتته أثر ذلك، ولكن كريشنامورتي الذي كان قريباً جداً من جوهره العميق، وأتى هذا الحدث لكي يهز أركانه وكيانه كله حتى جذوره العميقة في

الأرض وفي الروح... كان الحدث هزة عنيفة أشبه بزلزال كما حصل لرسول المسيحية بولس على طريق دمشق، لقد حدث مع كريشنا مورتى انفجار داخلي من النور، وتحول إلى الأبد، لقد استيقظ ذلك الأسد الذي في داخله، واستيقظ ذلك النسر في داخله، واستيقظت الكونداليني، واجتاحه النور كطوفان دمر كل حواجز الأنا والعوائق الداخلية التي تقف بينه وبين العالم، بينه وبين الطبيعة، بينه وبين أخيه الإنسان، بينه وبين كل شيء، لقد دمر طوفان النور في داخله كل ذلك حتى كريشنا مورتى نفسه زال من المشهد تماماً!! لم يعد له وجود حقيقي، فقد كان مجرد وهم، مجرد أنا مكتسبة غير حقيقية، لقد انقشعت غمامة الوهم عن عينيه كما حصل لبولس رسول المسيحية بعد معاينته للنور، كيف تساقطت من عينيه الغشاوة... ويقول أوشو في هذا الصدد: «لقد وافق الصوفيون في بلدان مختلفة، وبلغات مختلفة، وفي قرون مختلفة، على أمر واحد وهو أنه في اللحظة الأخيرة، يحدث انفجار للنور، آلاف الشمس تظهر فجأة. النور مبهر جداً، ولا يمكن للمرء أن يفتح عينيه. النور ساطع جداً، يحتاج إلى بعض الوقت ليتأقلم المرء معه وينظر إليه مباشرة». وكانت قصة بولس رسول المسيحية مشابهة، فقد احتاج ثلاثة أيام مجازاً على يد القديس حنانيا حتى استطاع استعادة نظره الذي فقده بعد معاينة النور وتساقطت قشور من عينيه على حد تعبير تلميذه «لوقا» أحد كتاب الأناجيل الأربعة، في أعمال الرسل.

إذن استنار كريشنا مورتى روحياً، وتحول إلى الأبد، وبدأ عوده يقوى شيئاً فشيئاً، ورأى العالم أمامه وكل شيء كما لو أنه يراهم لأول مرة كما الطفل، رؤية لا تشوبها الذاكرات ولا يتدخل فيها الفكر، وبدأ يفيض بعطر الحكمة من داخله الذي أخذ يتأثر في كل مكان وأينما كان..

وهكذا لم تأت تجربة كريشنا مورتى الروحية العظيمة نتيجة لتقنية في التأمل، ولذلك كان ضد كل تقنية، ويعتبرها عائقاً أمام التأمل في حد ذاته، وأيضاً لم تأت نتيجة تكراره لما نترا معينة آلاف المرات، وأيضاً لم تأت نتيجة عزلته الروحية، أو نسكه في أحد جبال الهيمالايا.. لقد حدثت وتحدث الآن وهنا كما حدثت منذ نحو الألفي سنة لشاوول الذي كان ذاهباً إلى دمشق يضطهد المسيحيين أينما تواجدوا، ولكنه هو الآخر كان قريباً جداً من جوهره العميق، وفي تزامن مذهل انفجر النور في داخله وأدرك فيه «المسيح الذي يضطهده» وتحول ولعل قصته لا تخلو من المجاز ولا ضير في أن يكون واقعاً حقيقياً ما حصل كالعمى وسقوط القشور عن عينيه بعد ثلاثة أيام على يدي الكاهن القديس حنانيا، ولكن ما يهمنا هنا ليس المظهر وإنما المعنى العميق من الحدث الذي حدث ويحدث وسيظل يحدث الآن وهنا أي الاستتارة الروحية المباركة. إذن غير شاوول اسمه وأصبح بولس ولعل ما من مسيحي في العالم المسيحي لا يعلم قصة استتارته على أبواب دمشق. نعود لاستتارة كريشنا مورتى كما ذكرنا آنفاً أنها لم تنجم عن تقنية وغير ذلك فهو نفسه رفض وتخلى عن انتمائه لأي تنظيم أياً كان ولم يتبع منهجاً أياً كان، ولم يعد يتبع أي عقيدة أو دين أو جمعية أو أخوية....

دارت الأيام، وكريشنا مورتى بدأ عوده يقوى أكثر فأكثر إلى أن حانت اللحظة المهيبة والتي كادت تشكل منعطفاً في التاريخ الروحاني للبشرية لو لم يقف كريشنا مورتى وقفته تلك... ماذا حصل؟

أتى موعد إعلان كريشنا مورتى على أنه «معلم العالم» الذي بشرت به الثيوصوفية، ودعت آلاف الأنصار والأتباع لتنظيم «كوكب الشرق» في اجتماع أومن سنة 1929، وفي اللحظة الحاسمة اعتلى كريشنا مورتى المنبر، وزار كالأسد «الحقيقة بلاد لا طرق فيها» وأمر بحل

وانهاء أخوية «كوكب الشرق» رافضاً اعتبار نفسه على أنه «معلم العالم»...

تابع كريشنا مورتى حياته كإنسان بسيط للغاية حكيم للغاية، والحق يُقال إن تجربته كانت قد مزقت كل الحجب، ودمرت كل الحواجز بين الشعوب والثقافات والأديان، تجربة كريشنا مورتى دفعته لتكريس نفسه من أجل تعليم الناس وفقاً لتجربته - اسمحوا لي أن أسميها «ثقافة النور» أو «تعليم النور» - لقد كان ضد كل شيء يفرق الإنسان عن أخيه الإنسان. وهكذا اصطبغت دعوته بصبغة عالمية. وكما رأينا أن رفضه لنقل أي تقنية للتأمل على غرار المهاريشي ماهاش يوغى وغيره من معلمين يوغيين مثل رامانا ماهايشي أو حتى رامانا كريشنا... كان رفضه لأي تقنية رافضاً قاطعاً. واسمحوا لي أن أسمى رفضه هذا أو تعليمه هذا بالتقنية الكوانتية، فالفيزياء الكوانتية تقول إن النتيجة تسبق السبب. ولذلك تتحدث الفيزياء الكمومية عما يسمى بالوثبات أو القفزات الكمومية لأنه ما من سبيل لشرح ما يحصل إلا من خلال القفزة فالإلكترون يكون هنا ويظهر هناك في نفس الوقت... إذن كريشنا مورتى يعرض أمامك النتيجة أولاً.

إنه وإن رفض لقب غورو أو معلم أو إلى ما هنالك من تسميات، ففي نظري هو معلم كالوحش الكاسر، وبعبارة أخرى فمن يقرأه أو يسمعه، يشعر أن ذلك الإنسان البسيط في لباسه، وكلامه يخفي وراءه وحشاً كاسراً (روحياً) يدفع المريء أو التلميذ علماً أنه يرفض مقولة معلم/مريد، فذاك الذي يسمعه ويقرأه يشعر بكينونة شرسة للغاية تدفع به إلى عتبات النور، إلى عتبات الاستنارة الروحية..

لم يكن كريشنا مورتى صاحب طريقة صوفية، ولم يكن درويشاً على عظمة هذا الأخير، لقد كان إنساناً فقط إنساناً.. وهذا ما أصر

عليه في كل حياته، وما كرس حياته لأجله أي «الإنسان». أراد كما قال في ذلك الاجتماع الشهير اجتماع «أومن» 1929 الذي حل فيه المنظمة الضخمة والممولة التي بُنيت حوله، نعم أراد كما قال في خطابه الشهير: «أريد تحرير الإنسان من الخوف لكي يكون حراً كالعصفور فرحاً مفرداً في السماء اللامتناهية...»...

وهكذا كان دأبه على خلاف معظم الحكماء الذين سبقوه، وعلى خلاف حكماء عصره، ولعل أبرزهم المهاريشي ماهاش يوغني، والحكيم الأكثر إشكالية في تاريخ روحانية المعلمين في العالم بأسره الحكيم العالمي «أوشو»، أيضاً كان على خلاف معه على نحو مائة وثمانين درجة.. ولعمري أن هذا الاختلاف يجعلني أنظر بعينين إحداهما كريشنامورتي والأخرى أوشو. وهكذا تولد العين الثالثة من لقاتهما. عفواً إن كريشنامورتي وأوشو كلاهما رفض أن يتبعه أحد، ورفض أن يتبع المرید أي معلم أو شيخ أو غورو... الخ، فعلى كل امرئ أن يجد طريقه خاصته وحده.

كان كريشنامورتي ذلك الفلوت المنفرد في عالم هائج مضطرب، ذلك الفلوت العظيم، لم يكن جاهلاً بالتأكيد علماً أن المشرفين عليه السابقين من الثيوصوفيين قد أخفوا عنه دراسة الموروثات العالمية كالمسيحية والإسلام والتيارات الغنوصية والصوفية والنسكية، وأخفوا عنه دراسة حكماء وروحانيين كبار مثل «ماهافيرا» والمتصوفة الهندوسية التي تدعى «ميرا» أو المسلمة «رابعة العدوية» أو المسيحية «تيريزا الآفيلية»، وأخفوا أيضاً عنه أعمال «غوردجييف» والحركات السرانية في التيب وسواها، ولذلك نرى لغته المعتمدة في أحاديثه ذلك المصطلح النقدي الأدبي الذي يطلق على هذا النوع من اللغة المستخدمة في أحاديثه باللغة «الخشبية» فهي لغة جافة بعض الشيء، وتتكرر على نحو

متجدد دوماً في هدف إيضاح الفكر أكثر وأكثر أي أنها نفسها على الدوام، ولكنها تختلف طريقة طرحها من وقت لآخر ومن مكان لآخر، فهي كالشجرة من حيث الطبيعة الخشبية الجافة من جهة وكالشجرة تثبت مجدداً على نحو أبدي من جهة أخرى، إذن هذا هو السبب الذي حدا بالنقاد إلى تسمية اللغة التي يستخدمها في أحاديثه باللغة «الخشبية».

إذن عقد هذا الحكيم البسيط والوحش الكاسر روحياً والذي لم يتلق ثقافة سوى ثقافة الثيوصوفيين لكي لا يخرج عن إطارهم التقليدي في ما يسمى بالمتصوفين الجدد. وهذه الثقافة الثيوصوفية لم يشر إليها في أي حديث من أحاديثه لا من قريب ولا من بعيد، وربما نساها أو تناساها لا ندري فالله أعلم... وإن سأله أحدهم في حديث له مثلاً عن الحب، فيسأله مثلاً ماذا عن الحب المثلي، أنت تتكلم دائماً عن الحب بين الرجل والمرأة، لماذا لا تتطرق للحب المثلي... فيجيب كعادته بهدوء الحكماء حول الحب ليس على أنه حب بين شخص وشخص، وإنما على أنه حالة سامية يحياها العاشق ربما يشعر بها نحو الحجر نحو البشر نحو كل شيء... هذا هو الحب في نظره لذلك لا يتطرق إلى معضلات عالمنا الدنيوية على طريقتهم الدنيوية وإنما على طريقته الروحانية... لقد ثار كريشنا مورتى وخرج عن كل إطار وكل انتماء نحو انتماء عالمي، إذن، وفقاً لتجربته، وخبرته الذاتية استطاع أن يواجه ويحاور في ندوات ولقاءات مع أبرز علماء ذلك العصر حتى على مستوى علم الفيزياء ولعل أشهرهم «دايفيد بوهم» صاحب نظرية الكل المنطوي، وفيزيائي آخر فيلسوف أيضاً اهتم بكريشنا مورتى، وألف كتاباً حول حواراته معه حول الألفية الثالثة ضمّنه في كتاب ترجمه إلى اللغة العربية الأستاذ ندره اليازجي، وهو من تأليف العالم الكبير «روبير لينسن». كما

تأثر به عالم الفيزياء الكبير «فريتجوف كابرا» واللائحة تطول من معلمين وعلماء فيزياء وعلماء نفس مثل «كارل يونغ» و«إيريك فروم» وأيضاً الكاتب الأميركي الشهير «دبليو داير»، وآخرون كثير وهم في قائمة علماء وعباقرة وفلاسفة كانوا تلاميذاً له، ولعلني أذكر بعضهم «الان واطس»، والأديب الروائي والفيلسوف «ألدوس هكسلي»...

إذن، نستطيع تكوين فكرة عما قد سبق وأشرنا إليه في خطابه في أوّمن الذي نستطيع استنباط فكرة تكريس نفسه «للإنسان العالمي»، وبالتالي فإن أحاديثه كلها كانت تدور حول العالم الحالي بمشكلاته وأزماته وحروبه وسبل الخروج منها حتى أنه نال ميدالية تقدير لجهوده من هيئة الأمم المتحدة. وبالتأكيد لكي يجد حلاً لمعضلة العالم لا بد أن يحل معضلة الإنسان فكان توجهه نحو الإنسان غاص في أعماقه وكان بحاراً وغواصاً وشرساً في عوالم الروح والأعماق الإنسانية، نعم عقد حوارات وأحاديثاً مع الإنسان الحالي بمشكلاته ومعاناته من الخوف والشعور بالعزلة والضجر والكرهية والثرثرة والجنس والحب والزواج... ولاشك أنه ركز على موضوع لطالما أقلق الجميع وأقضى مضجع البشر ألا وهو «العنف» ما السبيل للخروج من دوامة العنف؟! ولذلك اضطرر للتطرق إلى مواضيع فلسفية حساسة وعميقة كالزمن والعلاقة والموت والراصد والمرصود وهدوء الذهن ومعنى الحياة... ولكي يجد علاجاً لمرض العصر «العنف»، تناول مفهوماً أعلى أطلق عليه «الذكاء» ودعا ليقظة الذكاء ولتحول فردي يكون أساساً لتحول عالمي نحو عالم أفضل يعم فيه السلام...

بودي أن أقدم لهذا الحكيم الاستثنائي من القرن المنصرم كتاباً عنه، أو أترجم كتاباً حول سيرته الذاتية، لكنه هنا هو في قلبي زهرة لوتس تقممني جمالاً وحباً وروحانية وحكمة أبدية!!

أخيراً وليس آخراً، ظل كريشنا مورتى يطوف أنحاء العالم كافة وهو يعلم إلى أن وافته المنية في سنة 1986 في سن التسعين. وتم حفظ أحاديثه وحواراته ويوميياته ورسائله في أكثر من ستين كتاباً، وفي مئات الأقراص المضغوطة.

أختتم ببعض من أقواله أستقيها من كتابه «الحرية الأولى والأخيرة» يقول فيها:

«إن التحرر الحقيقي هو «حرية داخلية للحقيقة الإبداعية». وهذا ليس هبة، يجب أن يُكتشف ويُجرب. ليس شيئاً تكسبونه لأنفسكم من أجل تمجيد أنفسكم. إنه حالة وجودية، كالصمت، وليس فيه صيرورة بل كمال.»

«يجب أن يُعثر على هذا الكنز الخالد، حيث الفكر يحرر نفسه من الشهوة، والحقد والجهل، حيث يحرر الفكر نفسه من الدنيوية والتوق الشخصي كي يكون. يجب أن يُجرب عبر التفكير والتأمل. إن وعي الذات اللاخيارى سيقودنا إلى الحقيقة الإبداعية التي تكمن خلف جميع ادعاءاتنا المدمرة إلى الحكمة الهادئة التي هي موجودة دوماً، برغم الجهل، برغم المعرفة التي هي مجرد جهل في شكل آخر.

«إن ذهناً جاء إلى هدوء الوجود «سيعرف الوجود، سيعرف ما الحب. فالحب ليس شخصياً ولا موضوعياً. إن الحب هو الحب ويجب ألا يعرفه أو يصفه الذهن كحصري أو شامل. إن الحب هو أبعديته الخاصة، إنه الحقيقي، والأعلى، والذي لا يُقاس.»

المراجع:

- 1- طريق الحب، تأليف: أوشو، ترجمة: مقيم الضايح، إصدار دار الحوار للنشر والتوزيع.
- 2- الحرية الأولى والأخيرة، تأليف: كريشنامورتي، ترجمة: أسامة إسبر، إصدار دار بدايات للنشر والطباعة والتوزيع.

أعماله المترجمة إلى البرازيلية

لقد تمت ترجمة أعمال كريشنامورتي إلى معظم اللغات العالمية، وحققت مبيعات وإقبالا كبيرين. ولعل أهم هذه اللغات التي تمت الترجمة إليها عن النص الإنكليزي، الإسبانية، والفرنسية، والألمانية، والهولندية، والفلندية، والعربية.... الخ. أما الأعمال المترجمة إلى البرازيلية وتم نشرها من قِبَل دار النشر Cultrix في البرازيلية فهي:

- 1- O começo do aprendizado
- 2- Comentarios sobre o viver
- 3- A cultura e o problema humano
- 4- O Descobrimento do amor
- 5- Dialogos sobre a vida
- 6- Diario de Krishnamurti
- 7- A Educação e o Significado da vida
- 8- Fora Da Violência
- 9- O homem e seus desejos em conflito
- 10- O homem livre
- 11- A Importância da transformação
- 12- Liberte - se do passado
- 13- A Mente sem medo
- 14- O Mistério da compreensão
- 15- A mutação interior
- 16- Uma Nova Maneira de Agir

- 17- Novos Roteiros em Educação
- 18- Palestras com Estudantes Americanos
- 19- O Passo decisivo
- 20- Perguntas e Respostas
- 21- A primeira e Última Liberdade
- 22- Que estamos buscando?
- 23- A rede do pensamento
- 24- Reflexões sobre a vida
- 25- A Suprema Realização

أعمال كريشنا مورتى الصادرة عن

Instituição Cultural Krishnamurti

- 1- A Essência da Maturidade
- 2- Onde está o bem - Aventura
- 3- O Novo Ente Humano
- 4- A Questão de Impossível
- 5- A Outra Margem do Caminho
- 6- A luz que não se apaga
- 7- Como viver Neste Mundo
- 8- A libertação dos condicionamentos
- 9- Encontro com o Eterno
- 10- O Despertar da sensibilidade
- 11- O Vôo da Águia

الفصل الأول

بحث الإنسان عبر العصور عن شيء ما أبعد من ذاته نفسها، وأبعد من هنائه المادي - شيء ما يمكن تسميته «الحقيقة»، «الله»، أو «الواقع»، حالة لا زمنية - أمر ليس ممكناً تشويشه من خلال الظروف، أو الفكر، أو الفساد الإنساني.

يتساءل الإنسان دائماً: ما الغاية من هذا كله؟ هل للحياة معنى؟ وهو يرى فوضى هائلة تسيطر على حياته، الأعمال الوحشية، والثورات، والحروب، والانقسامات غير المنتهية التي نراها جلية في الأديان، والأيدولوجيات، والقوميات. ويسأل الإنسان بشعور عميق من الإحباط، ماذا عليه أن يفعل، وما هو ذلك الشيء الذي يُدعى «عيش»، وفيما إذا كان يوجد شيء ما أبعد من حدوده هو نفسه؟

ومع عدم قدرته في العثور على ذلك الشيء الذي هو من دون اسم، وبألف اسم إن صح التعبير، ذلك الشيء الذي ما انفك يبحث عنه، يفرس الإنسان في نفسه الإيمان - الإيمان بمخلص أو بمثال - ذلك الإيمان الذي يُؤدّد العنف على نحو لا تبدل فيه.

وفي هذه المعركة المستمرة التي ندعوها «عيشاً»، نسعى لترسيخ قانون للسلوك وفقاً للمجتمع الذي أوجدناه، سواءً كان مجتمعاً شيوعياً، أو كان مجتمعاً يُزعم أنه حر. ونقبل نموذجاً للسلوك على أنه جزء لا يتجزأ من تقليدنا الهندوسي، أو الإسلامي، أو المسيحي، أو أي تقليد

آخر. ومنتظر من آخر ما أن يقول لنا ما هو السلوك القويم، أو السلوك المناقض له، وما هو الفكر الصحيح أو الفكر الخاطئ. ومن خلال رصد هذا النموذج، يصبح سلوكنا وفكرنا آليين، وتصبح ردود أفعالنا ذاتية الآلية (أوتوماتيكية). ويمكن رصد ذلك بسهولة داخل ذواتنا.

تمت حمايتنا عبر قرون مضت، من خلال معلمينا، وسلطاتنا، وكتبنا، وقديسينا. ونطلب من أحدهم: «قل لي كل شيء، أظهر لي ذلك الموجود في ما وراء الهضاب، والجبال، والأرض كلها» - ونرضي ذواتنا بما يصفونه من خلال ما يقولونه فنحيا بكلماتهم، وتصبح حياتنا سطحية وفارغة. لسنا على فطرتنا. إننا نحيا من خلال الأشياء التي قالوها لنا، أو أننا نرشد أنفسنا من خلال ميولنا ونزعاتنا أو أننا نُجبر على تقبل الظروف والوسط المحيط بنا. وعلى هذا النحو، نصبح نتاجاً لكل صنف من التأثيرات فلا يوجد في داخلنا أي جديد، ولا نكتشف شيئاً من خلال أنفسنا، لا نكتشف شيئاً أصلياً، لم يرَ إطلاقاً، صافياً.

يضمن لنا مرشدونا الدينيون وفقاً للتاريخ اللاهوتي أننا إذا مارسنا طقوساً محددة، وقمنا بترديد بعض الدعاءات ومقاطع مقدسة، وخضعنا لبعض القواعد، وكبحنا رغباتنا، وراقبنا أفكارنا، وقمنا بتصعيد أهوائنا، وامتنعنا عن اللذات الجنسية، فآنذاك، وبعد أن نقوم بتعذيب الجسد والروح كفاية، فسوف نعثر على شيء ما أبعد من هذه الحياة الدنيئة. وهذا هو ما نقوم به طوال أعمارنا، وما يقوم به ملايين من الأفراد الذين يُقال عنهم إنهم متديّنون، سواءً في خلواتهم، في الصحارى، وفي الجبال، وربما في المغاور، أو أنهم يحجّون من قرية إلى قرية متوسّلين، وينضمّون إلى جماعات ضمن أديرة مُجبرين العقل على التكيف مع القواعد المرسّخة. ولكن العقل الذي تم تعذيبه والسيطرة عليه، هذا العقل الذي يرغب بالهرب من كل اضطراب فتخلّى عن العالم

الخارجي، وأصبح موهناً بسبب الانضباط والتكيف - وما يتوصل إليه هذا العقل أبعد ما يمكن أن يصل إليه، إذ ما يتوصل إليه ليس أكثر من توافق مع التشوه الذي طرأ عليه.

وهكذا، فمن أجل اكتشاف فيما إذا كان يوجد فعلاً أو لا يوجد شيء ما أبعد من هذا الوجود القلق، والمذنب، والخائف، والمناهس، يبدو لي أنه من الضرورة بمكان أن نتخذ طريقاً مختلفاً بشكل كامل. ينطلق الطريق التقليدي من المحيط إلى الداخل، ومن خلال الزمن والممارسة والزهد، فيتم التوصل تدريجياً إلى تلك الوردية الداخلية، ذلك الجمال والحب الحميميين - وفي واقع الأمر، ما يحصل هو أنه يُقام كل شيء لكي يجعلنا محدودين، ومبتذلين، وزائفين. فأن تنتزع طبقة فأخرى، يحتاج هذا الأمر إلى الزمن: غداً، أو في الحياة المقبلة سوف نصل - وعندما نبلغ في النهاية المركز، فإننا لن نعثر على شيء لأن عقلنا قد صار عاجزاً وموهناً وقاسياً.

بعد رصد هذا السياق كله، نسأل أنفسنا فيما إذا كان هناك طريق آخر مختلف كلياً، وفيما إذا كان بإمكاننا «الانفجار» من المركز. يقبل العالم ويتبع الطريق التقليدي. ويكمن السبب الأساسي في الفوضى الكائنة في دواخلنا في بحثنا عن الحقيقة الموعودة من قبل آخرين، فنتبع آلياً كل ذلك الذي يضمن لنا حياة روحية مريحة. إنه واقع على نحو حقيقي وخاص أن معظمنا يقف ضد الطغيان السياسي، والديكتاتورية، ولكننا في واقع الأمر نتقبل السلطة، وطغيان الآخرين، فنسمح لهم بتشويه عقلنا وحياتنا. وهكذا إذا رفضنا كل شيء ليس عقلانياً، ورفضنا فعلياً السلطة الروحية، والطقوس، والعقائد، فهذا سوف يعني أننا وحيدون، وأنا في صراع مع المجتمع. وسوف نُخلي أنفسنا من كوننا كائنات إنسانية مُحترمة. والحال هذه، فليس لكائن

إنساني محترم أي إمكانية للاقتراب من تلك الحقيقة اللامتناهية المتعذر قياسها.

إبدأوا الآن برفض شيء زائف كلياً - ليكون الطريق التقليدي - ولكن إذا رفضتموه كردة فعل لا أكثر فسوف تخلقون نموذجاً آخر حيث تجدون أنفسكم مسجونين فيه كما لو كان فخاً. وإذا قلتم لأنفسكم عقلاً إن هذا الرفض هو فكرة هامة، ولم تفعلوا شيئاً، فإنكم لن تذهبوا إلى ما هو أبعد من ذلك. ولكن إذا رفضتموه لأنكم فهمتم الأمر وكم يتطلب حماقة وعدم نضج، وإذا رفضتموه بدكاء عال لأنكم أحرار، ومن دون خوف، فإنكم سوف تتحررون من فخ الوقار. وسوف تكفون عن البحث. وهذا هو أول شيء علينا أن نتعلمه: عدم البحث. لأنكم عندما تبحثون، تتحركون، ويتأثير ذلك تصبِحون كمن يتفرج على واجهات أمامه لا أكثر.

السؤال حول وجود «الله»، «الحقيقة»، أو «الواقع» - أو كما تشاؤون تسميته - لا يجد إجابته من خلال الكتب أو من خلال الكهنة، أو الفلاسفة، أو المخلصين. لا أحد، ولا شيء يستطيع الإجابة على هذا السؤال، وإنما فقط، و فقط أنتم أنفسكم الذين سوف تجيبون على سؤال كهذا. ولهذا السبب بالذات عليكم أن تعرفوا أنفسكم. ثم غياب للنضج فقط حيث الجهل التام لأنفسنا. إن إدراك ذاتنا هو بداية الحكمة.

وماذا تكونون أنتم أنفسكم، «الأنث» الفردي؟ أفكر أنه ثمرة اختلاف بين الكائن الإنساني وبين الفرد. فالفرد هو الكيان المحلي، الساكن في دولة ما، والمنتمي إلى ثقافة محددة، ومجتمع مسلم به، وهو على دين ما. في حين أن الكائن الإنساني هو كيان غير محلي، فهو كائن في كل مكان. وإذا ما كان الفرد يؤثر فقط في ركن ما منعزل عن حقل الحياة الواسع، فإن فعله يكون منفصلاً بشكل تام عن الكل. والحال

هذه، فمن الضرورة بمكان أن يُدركَ بالعقل أننا نريد التحدث عن الكل وليس عن الجزء لسبب بسيط هو أن الأكبر يحوي الأصغر، وليس العكس. وبالتالي، الفرد هو ذلك الجزء الصغير أو بالأحرى ذلك الكيان المشروط والمغموم والمحبط والذي يرضى بآلهته الصغيرة وتقاليده. في حين أن الكائن الإنساني مهتم في هناءة الجميع، وفي المعاناة العامة، وفي البلبلة الكلية التي تسود هذا العالم.

وأما نحن كأفراد، فإننا على ما نحن عليه منذ ملايين السنين - طمّاعون بشكل هائل، وحسودون، وعدوانيون، وغيورون، وقلقون، ويائسون. وأحياناً نعاين ومضات عرّضية من الفرح والمودّة. نحن مزيج غريب من البغضاء والخوف ورقة القلب، ونكون حيناً عنيفين، وحيناً آخر مسالمين. حققنا تطوراً خارجياً من العربة التي تجرها الأحصنة، إلى السيارة، فالطائرة، فالطائرة النفاثة. ولكننا على المستوى النفسي لم نتغير كأفراد إطلاقاً، وكذلك الأمر بالنسبة لبنية المجتمع في العالم كله، لأن المجتمع تم إيجاده من خلالنا كأفراد. البنية الاجتماعية، والخارج هو نتيجة للبنية النفسية، والداخل، والعلاقات الإنسانية لأن الفرد هو نتاج للخبرة والمعارف وسلوكية الإنسان في كل مكان من العالم. كل واحد منا هو مستودع للماضي كله. أما الكائن الإنساني على خلاف الفرد الذي يعكس الثقافة المحلية الكائنة؛ يمثل الإنسانية كلها. وفي واقع الأمر إن التاريخ الإنساني كله مُسجّل في داخلنا، فإما أن نحيا كأفراد أو نحيا ككائنات إنسانية.

ارصدوا ما يحدث فعلاً داخل أنفسكم وخارجها، في ثقافة المنافسة التي تحيون وسطها، ومع رغبتكم بالسلطة، والمكانة، والوجاهة، والاسم، والنجاح... الخ. ارصدوا إنجازاتكم التي تفتخرون بها كثيراً، وكل هذا الحقل الذي تسمونه «عيشاً» حيث الصراع في كل أشكال العلاقة،

مما يؤدي إلى الكراهية، والتناقض، والوحشية، والحروب غير المنتهية. فهذا الحقل، وهذه الحياة، هو كل ما تعرفونه. وبما أنكم عاجزون عن فهم معركة الوجود الهائلة، فمن الطبيعي أن تشعروا بالخوف، وتحاولوا الهروب منها، ومن خلال أكثر أنواع الطرق حذاقة. نشعر أيضاً بالخوف من المجهول - الخوف من الموت، والخوف الذي نشعر به مما هو كائن بعد الغد. وهكذا فكما أننا نشعر بالخوف من المجهول فإننا نشعر بالخوف أيضاً من المعلوم. وهكذا تمضي حياتنا اليومية، فلا نجد فيها أي أمل، وبالتالي، فإن أي صنف من الفلسفة أو أي نوع من اللاهوت ليس أكثر من هروب من الواقع، وبعبارة أخرى هروب من الوجود أي مما هو كائن.

أشكال التغيير الخارجية الناجمة عن الحروب، والثورات، والإصلاحات، ومن خلال القوانين والأيدولوجيات، فشلت كلها بشكل كامل لأنها ببساطة لم تغير شيئاً من الطبيعة الأساسية للإنسان، وبالتالي لم يتغير المجتمع. ونحن ككائنات إنسانية، نعيش في هذا العالم المريخ، نسأل أنفسنا: «هل يمكن لهذا المجتمع القائم على التنافس، والوحشية، والخوف أن ينتهي ذات يوم؟» - ينتهي ليس كمفهوم فكري، وإنما أن ينتهي كواقع حقيقي على نحو يصبح فيه العقل حياً وجديداً وبريئاً وقادراً على خلق عالم مختلف كلياً؟ أعتقد أن هذا سوف يحصل فقط إذا ما تعرف كل واحد منا على الحدث المركزي. ذلك أننا ككائنات إنسانية مسؤولون بشكل كامل عن وضع العالم كله في أي جزء منه، ولا يهم إلى أي ثقافة ننتهي.

نحن جميعاً، وكل واحد منا مسؤول عن الحروب كلها الناجمة عن عدوانية حيواننا، وعن قومياتنا المتنازعة فيما بينها، وعن أنانياتنا، وآلهتنا المتخاصمة فيما بينها، وعن أفكارنا المسبقة، ومثالياتنا - لأن

هذا كله يجعلنا منقسمين فيما بيننا . وفقط عندما ندرك - ليس على نحو فكري فقط وإنما على نحو فعلي، كما نشعر بالجوع أو بالألم، أننا مسؤولون عن هذه الفوضى كلها، وعن هذه المحن الموجودة في العالم بأسره، لأننا في واقع الأمر نسهم في هذا كله في حياتنا اليومية، ولأننا نشكل جزءاً لا يتجزأ من هذا المجتمع البربري بحروبه وانقساماته وقبحه ووحشيته وطمعه - حينذاك فقط سوف يكون بإمكاننا أن نتصرف.

ولكن، ما الذي يستطيع كائن إنساني القيام به؟ ماذا بوسعكم أنتم، وماذا أستطيع أنا، أن نفعل كي نوجد مجتمعاً مختلفاً تماماً؟ إننا نوجه لأنفسنا هنا سؤالاً جدياً جداً. هل من الضروري أن نقوم بأمر ما؟ ماذا نستطيع أن نفعل؟ أما من أحد يقول لنا؟ أناس كثيرون صرّحوا عنه. أولئك الذين نسميهم «المرشدون» الروحيون الذين نفترض أنهم يفهمون هذه الأمور أفضل منا، فهم يخبروننا عنه، وهم يحاولون تغييرنا، وقولبتنا وفقاً لمعايير جديدة. ولكن هذا لا يأخذنا بعيداً جداً. وثمة أناس سفسطائيون، وآخرون علامة قد أخبرونا عنه، وهم أيضاً لن يأخذونا بعيداً أكثر. قالوا لنا إن كل الطرق تؤدي إلى الحقيقة، ولديكم طريقكم خاصتكم كالأهندوسية، والمسيحية، والإسلام، ولكن هذه الطرق كلها ستلتقي عند الباب نفسه. وعندما نأخذ ذلك الطريق بجدية فذلك لا يتعدى كونه سخفاً جلياً. الحقيقة لا دروب فيها، وهذا بالذات جمالها، فهي حية. فقط الشيء الميت لديه طريق يؤدي إليه لأنه سكوني (علم السكون والتوازن يتعلق بالجوامد المتحركة واستقرارها)، ولكنكم عندما تدركون أن الحقيقة هي شيء حي، ويتحرك، وليس لديها مقام، ولا معبد، ولا جامع أو كنيسة، ولا تنتمي إلى أي دين، ولا إلى أي مؤسس دين، ولا أي فيلسوف بمقدوره أن يقودكم إليها - وأيضاً سوف ترون

آنذاك أن هذا الشيء الحي هو ما أنتم عليه فعلياً - ونزقكم، ووحشيتكم، وعنفكم، وبأسكم، والنزاع والمعاناة حيث تحيون. ولكنكم في إدراككم لهذا كله تعثرون على الحقيقة. فقط تفهمونها إذا ما أدركتم كيف تنظرون إلى أشياء كهذه في حياتكم. ولكن انتبهوا جيداً، فليس بالإمكان أن تنظروا إليها من خلال أيديولوجيا، وستارة من العبارات، ومن خلال الآمال والمخاوف.

كما ترون فأنتم لا تستطيعون التعلق بأحد. فليس هناك ثمة مرشد، ولا مشرف، ولا سلطة. فما يوجد هو أنتم فقط، وعلاقاتكم مع الآخرين ومع العالم ولا أكثر من ذلك. وعندما تدركون هذا الأمر فهو إما يقود إلى يأس كبير، ويسبب تشاؤماً ومرارة أو أنكم تواجهون هذا الأمر: أنكم ولا أحد سواكم مسؤول عن هذا العالم، فمن خلالكم، ومن خلال ما تفكرون فيه، ومن خلال ما تشعرون به، ومن خلال الطريقة التي تتصرفون وفقها، فيتلاشى من الجميع الشفقة على الذات. نحن نحب بشكل طبيعي، وأن نضع الذنب على الآخرين، فهذا الأمر لا يتعدى كونه شكل من أشكال الشفقة على الذات.

هل سيكون بمقدورنا آنذاك، أنا وأنتم أن نؤسس في أنفسنا - من دون أن نتعلق بأي تأثير خارجي. ولا بأي اقتناع، ومن خوف من أي عقاب - هل سيكون بمقدورنا أن نؤسس في روحنا خاصتنا ثورة كلية، وتغيراً نفسياً لكي لا نكون أكثر وحشية، وعنفاً، وتنافسين، وقلقين، وجبناء، وطمأعين، وحسودين - وأخيراً، مظاهر طبيعتنا كلها التي شكّلت مجتمعاً فاسداً حيث نعيش حياتنا من يوم إلى يوم؟

من المهم فهم أنني لا أصيغ أي فلسفة، أو منظومة أفكار أو مفاهيم لاهوتية. فالأيديولوجيات كلها تتراءى لي عبثاً كلياً. ليس المهم فلسفة حياة، بل أن نرصد ما يحدث في حياتنا اليومية، داخلياً

وخارجياً. وإذا ما رصدتم بانتباه كبير ما يحصل، وإذا ما تفحصتم
فلسوف ترون بأن كل شيء يقوم أساساً على الفكر. ولكن الفكر لا
يشكل الحقل الكلي للوجود، فهو جزء، وكل جزء، من الأكثر مقدرة على
التكيف إلى الأكثر قدماً وتقليدية، يظل يشكل جزءاً من الوجود، فعلينا
الاهتمام بكلية الحياة. وعندما نأخذ بعين الاعتبار ما يحصل في العالم،
ونبدأ بفهم أنه ليس هناك سياق خارجي ولا سياق داخلي، وإنما هناك
حركة داخلية تعبر عن نفسها خارجياً، والحركة الخارجية بدورها تؤثر
على الداخل الذي هي انعكاس له أصلاً. أن نكون قادرين على النظر إلى
هذا الحدث - فهنا ما هو ضروري، وفقط هذا، لأننا إذا عرفنا كيف
ننظر، فكل شيء يصبح واضحاً جداً. لا يتطلب فعل النظر أي فلسفة،
ولا أي مدرس. لستم بحاجة إلى أي أحد لكي يعلمكم كيف تتظرون.
انظروا ببساطة فحسب.

هكذا، وبرؤية هذا الإطار كله، وبرؤيته ليس من خلال العبارات،
وإنما فعلياً، هل بوسعكم أن تحولوا أنفسكم على نحو طبيعي وعضوي؟
وهذه هي المسألة الحقيقية. هل من الممكن إثارة ثورة كاملة في النفس؟
كان بودي أن أدرك ما هي ردة فعلكم إزاء إحدى هذه الأسئلة.
ستقولون عرضاً: «ليست لدي الرغبة بالتغيير» - وإن معظم الأشخاص
لا يرغبون به، ويشكل رئيسي أولئك الذين يجدون أنفسهم في وضع
نسبي من الشعور بالأمان، على المستوى الاجتماعي والاقتصادي
والانفعالي. أو أنكم تحافظون على عقائد جامدة، وترتضون في قبول
أنفسكم والأشياء كما هي على هيئة متغيرة بشكل ما. فأشخاص كهؤلاء
لا يهتموننا (أي الذين يبحثون عن التحول الداخلي). أو ربما تقولون على
نحو أكثر حذاقة: «والحال هذه، فالأمر صعب جداً، إنه بعيد عن
متناولي». وفي هذه الحال، فإنكم انغلقتم عن الطريق، وتوقفتم عن

البحث. وسيكون الاستمرار عبئاً بشكل كامل. أو حتى أنكم ستقولون: «أدرك الحاجة إلى تحول داخلي، أساسي في داخلي أنا نفسي، ولكن ما السبيل للقيام به؟ أطلب منكم أن تُبينوا لي الطريق، وأن تساعدوني في الوصول إليه». وإذا تكلمتم على هذا النحو فما يهكم ليس التحول في حد ذاته، فأنتم لستم مهتمين فعلياً بثورة أساسية، وإنما أنتم تسعون على نحو تام إلى طريقة، وإلى نظام قادر على إحداث التغيير.

وإذا كنا طائشين إلى درجة نندفع فيها فنصرح لكم عن طريقة، وأنتم متهورون إلى درجة تتبعون فيها هذه الطريقة، فإنكم لن تكونوا إلا مجرد نسخة أو محاكاة أو تكييف لأنفسكم وفقها، وتقبلها، وقيامكم بها على نحو ما، وسوف ترسخون في داخل أنفسكم سلطة الآخرين، الأمر الذي ينجم عنه صراع بينكم وبين هذه السلطة. وتفكرون بأنه يتوجب عليكم أن تقوموا بهذا أو ذلك الشيء لأنهم أمروكم بالقيام به، وفي الواقع لا تكونون قادرين على فعله. لديكم ميولكم المميزة، ونزعاتكم وضغوطاتكم التي تتصادم مع الطريقة (المنهج) التي تحكمون أن عليكم اتباعها، وبالتالي، يوجد تناقض. وستتخذون على عاتقكم حياة مزدوجة بين أيديولوجية الطريقة (المنهج)، وواقع وجودكم اليومي. وفي مجهودكم من أجل تكييف أنفسكم للأيديولوجية فإنكم تقمعون أنفسكم، وفي الواقع، فما هو حقيقي فعلاً ليس الأيديولوجية وإنما ذلك الذي ما أنتم عليه. فإذا ما حاولتم التفكير بأنفسكم وفقاً للآخرين فسوف تظلون أفراداً من دون أصالة.

الإنسان الذي يقول: «أرغب بتغيير نفسي، قل لي بالله عليك كيف لي أن أتوصل إلى ذلك؟» - يبدو أن الأمر يتطلب تنبهاً كثيراً وجدية كبيرة. ولكن الأمر ليس على هذا النحو. فهو يرغب بسلطة يتوقع منها أن ترسخ النظام فيه هو نفسه. ولكن هل يمكن ذات يوم لسلطة ما أن

تؤسس نظاماً داخلياً؟ يؤد النظام المفروض من الخارج دوماً، وبالضرورة الفوضى. بوسعكم إدراك هذه الحقيقة فكرياً، ولكنكم هل ستكونون قادرين على تطبيقها بطريقة لا تُسقط فيها عقولكم بعد أي سلطة - سلطة كتاب، أو مدرب، أو الزوجة أو الزوج أو الدولة أو صديق أو مجتمع؟ وكما أننا نعمل دائماً وفقاً لنموذج صيغة ما، وتتحول هذه الصيغة إلى أيديولوجيا وسلطة، ولكنكم حالما تدركون فعلياً ماهية التساؤل حول «كيفية التغير»، فهذا في حد ذاته يخلق سلطة جديدة، وعلى هذا النحو تتناهون إلى السلطة على نحو دائم.

نكرر ذلك بشكل واضح: سيكون علي التغير بشكل كامل اعتباراً من جذور وجودي، فلا أستطيع بعد التعلق بأي موروث، لأن الموروث هو الذي خلق التراخي الهائل، والتقبل، والطاعة، ولا أستطيع الاعتماد على الآخرين لكي يساعدوني على التغير، لا على أي مدرب، ولا على أي إله، ولا أي عقيدة، ولا أي منهج، ولا أي ضغط أو تأثير خارجي. فماذا يحدث إذاك؟

هل بوسعكم، أولاً، أن ترفضوا كل سلطة؟ وإذا ما كان بمقدوركم فعل ذلك، فهذا يعني أنكم لا تشعرون بالخوف. وإذاك فما الذي يحدث؟ عندما ترفضون أمراً زائفاً تحملونه معكم منذ أجيال، وعندما تفرغون حمولة من أي صنف، فما الذي يحصل؟ هل تزيدون من طاقتكم، فتصبحون بقدرة أكبر، وبقوة اندفاع أكثر، وشدة وحيوية أعظم؟ وإذا لم تشعروا بذلك، فإنكم في هذه الحال لا تفرغون الحمولة، ولن تتحرروا من الوزن الميت للسلطة.

لكنكم تتحررون ذات مرة من هذه الحمولة، وتحصلون على تلك الطاقة حيث لن يوجد هناك خوف من أي نوع - الخوف من الخطأ، أو التصرف على نحو غير صائب - أليست هذه الطاقة نفسها التي

تحصلون عليها هي عبارة عن تحول؟ نحن نحتاج إلى وفرة كبيرة من الطاقة، وننفقها بخوف، ولكن عندما توجد الطاقة فإنها تأتي بعد ما نتحرر من أشكال الخوف كلها، وتنشأ عن هذه الطاقة نفسها الثورة الداخلية والجذرية. وأنتم لستم بحاجة أن تفعلوا شيئاً بهذا الخصوص.

إذناك تظنون وحدكم مع أنفسكم، وهذه هي الحالة الحقيقية التي تناسب الإنسان الذي يتخذ هذه الأمور بجدية. وبما أنكم لا تعتمدون على مساعدة أي شخص ولا أي شيء، فأنتم أحرار لكي تكتشفوا بأنفسكم. وعندما توجد الحرية، ثمة طاقة، وعندما توجد الحرية، لن يكون بمقدوركم فعل شيء خاطئ. تختلف الحرية بشكل كامل عن التمرد. وليس هناك تصرف صحيح أو خاطئ عندما تتواجد الحرية. أنتم أحرار، ومن هذا المركز بالذات تتصرفون. وبالتالي، لن يتواجد خوف، والعقل من دون خوف قادر على حب غير محدود. و فقط الحب يستطيع أن يفعل ما يشاء.

وبالتالي، فما سنأتي على فعله هو تعلم إدراك أنفسنا، ولكن ليس بالتوافق معي أو بالتوافق مع محلل نفسي، أو فيلسوف، لأننا إذا قمنا بذلك توافقاً مع أشخاص آخرين، فكل ما سوف نتعلمه هو التعرف على هؤلاء الأشخاص، وليس على أنفسنا نحن. حري بنا أن نتعلم ما نحن عليه فعلاً.

أدركنا إذن، أنه ليس بوسعنا التعلق بأي سلطة خارجية لكي نؤسس ثورة كلية في بنية أنفسنا، ويتمثل الأمر بصعوبة أكبر على نحو لا نهائي في أن نرفض سلطتنا الداخلية، وسلطة تجارينا التي لا معنى لها، وآراءنا المتراكمة، ومعارفنا، وأفكارنا ومثالياتنا. فنقول إننا خضنا البارحة تجربة علمتنا أمراً، وهذا الأمر الذي علمتنا إياه يصبح عبارة

عن سلطة جديدة. والحق يُقال إن سلطتكم البارحة مدمرة جداً كما هو الأمر تماماً بالنسبة لسلطة منذ ألف عام. ولا يقتضي إدراك أنفسنا أي سلطة، لا تلك التي تعود لليوم السابق، ولا الأخرى التي تعود إلى ألف عام لأننا كائنات حية في حركة على الدوام، وفي انسياب دائم، ولا تتوقف إطلاقاً. وإذا نظرنا إلى أنفسنا من خلال السلطة الميتة للأمس، فنحن لن نفهم أبداً الحركة الحية وجمال وطبيعة هذه الحركة.

التحرر من كل سلطة سواء الخاصة بنا أو تلك التي تعود للآخرين يعني أن نموت عن كل أشياء البارحة - وذلك من أجل أن يكون العقل متجدداً، شاباً دائماً، بريئاً، ومليئاً بالحياة والشغف. وفقط في هذه الحالة يتم التعلم والرصد. ولذلك يتطلب الأمر قدرة كبيرة على الإدراك، الإدراك الحقيقي لكل ما يحدث في داخل أنفسكم من دون أن تصححوا ما ترونه، ومن دون أن تقولوا ما يجب أو ما لا يجب أن يكون. ولماذا تصححون سريعاً جداً فتقيمون سلطة أخرى، رقيباً.

فلننحِص إذن أنفسنا سوية، وما من أحد سوف يفسر لكم شيئاً بينما أنتم تقرؤون موافقين أو مخالفين لمن يفسر، وذلك في الوقت نفسه الذي تتبعون فيه كلمات النص، وبالرغم من ذلك فلنقم برحلة سوية، رحلة اكتشاف للأسرار المخبوءة أكثر في عقولنا. ولكي نقوم بهذه الرحلة، فما نحتاجه هو أن نكون أحراراً، ذلك أنه لن يكون بمقدورنا نقل حمولة من الآراء والأفكار المسبقة والاستنتاجات، وكل المتاع القديم الذي جمعناه خلال العشرة آلاف سنة أخيرة أو أكثر. انسوا كل شيء تعرفونه حول أنفسكم. انسوا كل شيء فكرتم به حول أنفسكم، ولنشرع في مسير كما لو أننا لا نعلم شيئاً.

أمطرت البارحة مساءً على نحو اندفعت فيه سيول جارفة، والآن
ها هي السماء بدأت تصحو، وها هو يوم جديد ندي. إننا نلتقي في هذا
اليوم الجديد كما لو كان يومنا الوحيد، ونشرع بالمسيرة تاركين وراءنا كل
ذاكرات البارحة، ولنبدأ في فهم أنفسنا لأول مرة.

الفصل الثاني

إذا أخذنا بعين الاعتبار أهمية معرفة النفس، وذلك فقط لأنني أنا أو آخر قال إن ذلك هام، فأنا أعتقد إزاءك بأننا قمنا بالقضاء على أي احتمال لاستمرار التواصل فيما بيننا. ولكن إذا اتفقنا على أنه من الأهمية بمكان أن نفهم أنفسنا، فإذاك تصبح العلاقة مختلفة فيما بيننا، وسوف نتمكن سوية القيام ببحث دقيق وذكي ونحن راضون.

أنا لا أتطلب منكم إيماناً، كما أنني لا أعلن عن سلطة روحية جديدة. فأنا لا أملك شيئاً لكي أعلمكم إياه - ولا أي فلسفة جديدة، ولا أي نظام جديد، ولا أي طريق جديد إلى الواقع. فلا يوجد هناك طريق للواقع، كما أنه لا يوجد طريق للحقيقة. فكل سلطة، من أي نوع كانت، لا سيما في حقل الفكر والإدراك فهي الشيء الأكثر تدميراً وإيذاءً يمكن له أن يوجد. فالمعلمون يدمرون تابعيهم، والتابعون بدورهم يدمرون معلميهم.

عليك إذن أن تكون أنت نفسك المعلم خاصتك، وأنت نفسك التلميذ نفسه. فكل ما قبله الإنسان على أنه ذو قيمة وضروري فما عليه إلا أن يضعه محل سؤال.

وإذا لم تتبع أحداً فسوف تشعر بعزلة كبيرة. ولماذا تشعر بالخوف إذا ما بقيت وحيداً؟ لأنك ببساطة تواجه نفسك كما أنت عليه، وتكتشف أنك فارغ، موهن، بليد، باعث على الاشمئزاز، عاص، قلق -

كيان لا معنى له، ومن دون أصالة حقيقية. واجه الواقع، انظر إليه ولا تهرب منه. وطالما تبدأ الهروب، فالخوف هو ما يظهر إلى الوجود. وعندما تتفحص ذاتك فأنت لا تعزل نفسك عن بقية العالم. والأمر لا يتعلق بسياق مرضي. فالإنسان في العالم كله يرى نفسه متورطاً بالمشاكل اليومية ذاتها، كما هو ذاته، وهكذا تقصّي ذاتك، فأنت لا تتصرف بحال من الأحوال على نحو عصابي، لأنه ليس ثمة اختلاف بين الفردي والجمعي. وهذا واقع حقيقي، فقد خلقت العالم على النحو الذي أنت عليه. وبالتالي، فأنت لا تضلّ الطريق في هذه المعركة بين الجزء والكل.

عليّ كشخص أن أكون واعياً لحقل كينونتي كلها خاصتي، والتي هي مكونة من العقل الفردي والاجتماعي. و فقط عندما يتجاوز الوعي العقل الفردي والاجتماعي أتمكن من أن أصبح نور ذاتي نفسها، نعم ذلك هو النور الذي لا ينطفئ أبداً.

حسناً إذن، فمن أين نبدأ فهم أنفسنا؟ فهنا أنا، كيف سوف أدرس نفسي، وأرصدني، ورؤية ما يحدث داخلي فعلياً؟ أستطيع رصد نفسي فقط ضمن علاقة، لأن الحياة كلها هي عبارة عن علاقة. لا فائدة البتة من بقائي جالساً في ركن أتأمل فيه نفسي. لا أستطيع التواجد وحيداً. فأنا أتواجد فقط في علاقة مع أشخاص آخرين، وأشياء وأفكار، وباحثاً عن علاقتي مع الأشخاص والأشياء الخارجية، كما تلك الداخلية منها، فأبدأ إذك بإدراك ذاتي. وأي شكل آخر للإدراك ليس هو أكثر من تجريد. وليس بمقدوري أن أدرس نفسي تجريبياً، فأنا لست كينونة مجردة، وبالتالي، علي أن أدرس نفسي ضمن الواقع الملموس - على النحو الذي أنا عليه، وليس على النحو الذي أرغب في أن أكون عليه.

ليس الفهم سياقاً فكرياً . فاكتساب المعارف في ما يتعلق بكم، والتعلم بذواتكم أنتم، هما أمران مختلفان، لأن المعرفة التي تراكموها بخصوصكم هي من الماضي دائماً، والعقل الذي يأخذ على عاتقه حمولة الماضي هو عقل يدعو للتأسف عليه . أما التعلم بذواتكم حيث أنه ليس هو مثل تعلم لغة ما، أو تقنية، أو أحد العلوم؛ ففي الحالة الأخيرة عليكم أن تراكمو المعرفة بشكل طبيعي، وتقوموا بتخزينها في ذاكرتكم، ذلك لأنه سيكون من السخف أن نعود مجدداً إلى البداية التي انطلقنا منها في تعلم تلك الأمور . ولكن التعلم بذواتكم في الحقل النفسي يكون دائماً في الحاضر، بينما المعرفة تكون دائماً في الماضي، وبما أن معظمنا يعيش في الماضي، ويكون مشبعاً بالماضي، فالمعرفة تصبح هامة إجمالاً بالنسبة لنا . ولهذا السبب فإننا نقوم بتأليه الإنسان العلامّة، والموهوب، والفظن . ولكن، إذا كنتم تتعلمون في كل لحظة، وفي كل دقيقة، تتعلمون من خلال الرصد، ومن خلال الإصغاء، وتتعلمون من خلال الرؤية والعمل، فسترون آتئذ أن التعلم هو عبارة عن حركة لا متناهية، ومن دون معرفة ماضٍ .

إذا ما قلتم إنكم تتعرفون على ذواتكم تدريجياً، وأنتم تضيفون دائماً شيئاً ما أكثر، فإنكم لستم في الواقع تدرسون أنفسكم شيئاً فشيئاً كما أنتم عليه الآن، وإنما من خلال المعرفة المكتسبة . في حين يتطلب التعلم حساسية عالية . وليس ثمة حساسية إذا ما كانت توجد فكرة ما حيث هذه الأخيرة هي من الماضي دوماً . ولن نكون على هذا النحو حساسين، ولا حتى على المستوى الجسماني . فنحن نأكل بإفراط، ومن دون أن نهتم بحماية غذائية أكثر لياقة، كما أننا نفرط في المشروب والتدخين . وعلى هذا النحو يصبح جسمنا ثقيلاً، ومن دون إحساس، وتضعف القدرة على الانتباه للعضوية نفسها . وكيف يمكن أن يتواجد

عقل متيقظ، وحساس، وصاف؛ إذا كانت العضوية نفسها موهنة ومتناقلة؟ نستطيع أن نكون حساسين تجاه بعض الأشياء التي تلامسنا بشكل خاص. ولكن لكي نكون حساسين لكل شيء ينجم عن متطلبات الحياة، فلا يجب أن يتواجد انفصال بين العضوية والنفسانية. فالأمر يتعلق بحركة كلية.

إننا لكي نفهم أي شيء فما علينا إلا أن نعيش هذا الشيء، وأن نرصده، وأن نعرف محتواه كله، وطبيعته، وبنيته، وحركته. أو هل اخترتم أن تعيشوا أنفسكم أنتم؟ فإذا ما اخترتم ذلك ستبدؤون رؤية «أنكم» لستم كيانياً سكونياً، وإنما شيء ما نشيطاً، وحي. ولكي نستطيع معايشة شيء حي، فعلى عقلكم أن يكون حياً أيضاً. بيد أن العقل لا يمكنه أن يكون حياً إذا ما تورط في شبكة من الآراء والأحكام والقيم.

وبالنسبة للراصدين فإن حركة عقلكم وقلوبكم وكيانكم الداخلي، تحتاج إلى عقل حر، وليس إلى عقل يتفق مع هذا ويختلف مع ذلك، يقف إلى جانب حزب ما في نقاش لمجرد كلمات، ومع ذلك يتابع النقاش بنية الفهم، إن هذا لصعب جداً، لأننا لا نعرف النظر من دون الإصغاء إلى كينونتنا خاصتنا، كما هي الحال في عدم معرفتنا النظر إلى جمال نهر أو سماع وشوشة النسيم بين الأشجار.

وعندما ندين أو نبرئ لن يكون بوسعنا الرؤية بوضوح، لن نستطيع أيضاً القيام بذلك عندما يكون عقلنا في ثرثرة لا تتوقف، فلا نلاحظ إزاءك الـ«موجود»، وإنما ننظر فقط إلى «إسقاطاتنا» خاصتنا. فلدى كل واحد منا صورة عما نفكر أن نكون عليه، أو ما يتوجب أن نكون عليه، وهذه الصورة، وهذا المثال يمنعنا بشكل كامل من أن نرى أنفسنا كما هي عليه فعلياً.

لعل أحد الأمور الأكثر صعوبة في عالمنا هي أن ننظر إلى أي شيء

ببساطة. وبما أن عقلنا في غاية التعقيد فإننا نفقد البساطة. عضواً،
فإننا لا أشير إلى البساطة في الملابس أو في المأكل، أو في استعمال منزرك
واحد فقط، أو تحقيق رقم قياسي في عدد أيام الصوم عن الطعام، أو
أي شيء آخر من تلك السخافات الطفولية التي يمارسها القديسون.
وإنما أشير إلى تلك البساطة التي تجعلنا قادرين على النظر إلى الأشياء
على نحو مباشر، ومن دون خوف، وقادرين على النظر إلى أنفسنا من
دون أي تشويه، وأن نصرخ بأننا كاذبون عندما نكذب، وعدم قيامنا
بإخفاء الحدث أو الهرب منه.

وكذلك الأمر، لكي نفهم أنفسنا، فنحن نحتاج إلى تواضع كبير.
فإذا ما بدأت تقولون: «أنا أعرف نفسي» - فإنكم قد أوقفتم لتوكم
سياق التعلم الذاتي؛ أو إذا قلتم: «ليس هناك الكثير لأن أتعلمه فيما
يخصني، لأنني فقط عبارة عن حزمة من الذاكرات، والأفكار،
والموروثات» - وهكذا فإنكم سوف توقفون أيضاً سياق التعلم فيما
يخصكم. وفي اللحظة التي تبلغون فيها أي هدف، فإنكم تفقدون صفة
البراءة والتواضع، ففي لحظة كهذه تصلون فيها إلى إنجاز أو تبدأون
بالتفحص على قاعدة يقوم أساسها على المعرفة، فإن كل شيء يتم
إنجازه، فإنكم تترجمون كل ما هو حي إلى مصطلحات كل ما هو
قديم. ولكن، وبالعكس فأولاً لن يكون لديكم أي نقطة استناد، أي
يقين، أي كمال، فإنكم تكونون في حالة من الحرية لكي تنظروا،
وعندما تنظرون شيئاً بحرية، فهذا الشيء يكون جديداً على الدوام.

صدقوني أن إنساناً معتداً بنفسه فليس هو أكثر من كائن ميت.
لكن كيف نكون أحراراً لكي ننظر ونتعلم، عندما نُقَوِّب عقولنا
منذ ساعة الولادة وحتى ساعة الممات من خلال ثقافة محددة ضمن
نموذج ضيق من «الأنا»؟ رأينا أنفسنا منذ قرون مضت أنها مشروطة

بالقومية، وبالطبقة التي تنتمون إليها، وبالمكانة، وبالموروث، وبالدين، وباللغة، وبالتربية، وبالآداب، وبالفن، وبالعادة، وبالعرف، وبالدعاية من كل صنف، والضغط الاقتصادي، والتغذية التي نتناولها، والمناخ الذي نحيا فيه، وعائلتنا، وأصدقائنا، وتجارينا - كل التأثيرات الممكنة والمتخيلة - وبالتالي، فإن علاقاتنا بمجملها وكل مشكلة تواجهنا كلها مشروطة.

هل تدركون أنكم مشروطون؟ فهذا هو أول شيء ينبغي عليكم أن تسألوا أنفسكم عنه. وليس كيف تتحررون من إشراطكم. لربما لا تحررون منه إطلاقاً، فإذا قلت «أريد التحرر منه» لسوف تسقطون في فخ آخر، في شكل آخر من الإشراط. وهكذا أوهل تدركون أنكم مشروطون؟ تعلمون أنكم حتى لو نظرتكم إلى شجرة وقلتم «الشجرة هي تينة» أو «تلك الشجرة هي بلوط»، إن واقع منح اسم إلى شجرة ليس أكثر من معرفة نباتية، وإن طريقة كهذه ألا تشرط عقلكم بتموضع الكلمة بينكم وبين واقع إدراك الشجرة؟ ولكي تدخلوا في اتصال مباشر مع الشجرة عليكم أن تلمسوها بأيديكم أما الكلمة فلن تساعدكم في لمسها.

كيف تستطيعون أن تعرفوا بأنكم مشروطون؟ عمّاذا يعبر لكم ذلك؟ ماذا تقولون عندما تشعرون بالجوع - ليس كنظرية، وإنما كواقع جوع حقيقي؟ على النحو نفسه، كيف تكتشفون الواقع الحقيقي بأنكم مشروطون؟ هل من خلال ردة فعلكم إزاء مشكلة، أم إزاء تحدٍّ ما؟ إنكم تتصرفون إزاء كل تحدٍّ وفقاً لإشراطاتكم، وبما أن إشراطكم غير لائق فإنكم ستصرفون دوماً على نحو غير لائق.

عندما تصبحون واعين لهذا الأمر، أوهل يجعلكم إشراط السلالة هذا، والدين، والثقافة تشعرون بالأسر؟ خذوا بعين الاعتبار

قالياً وحيداً لإشراط، وليكن «القومية». اتخذوه بعين الاعتبار بجدية،
وبإدراك تام لكي تتروا إذا ما كانت ترضيكم أو تجعلكم تشورون. وإذا
ثرتم، وشعرتم بإرادة أن تتحرروا من كل إشراط. إذا كان إشراطكم
يشبعكم فمن الواضح أنكم لن تفعلوا شيئاً إزاءه. ولكن إذا لم تشعروا
بالرضا عندما تصبحون واعين له فسوف تدركون أنكم لم تفعلوا أي
شيء من دونه. وبالتالي، لن تحيوا إطلاقاً، فأنتم كالموتى في الماضي.
أليس كذلك؟

فقط ستدركون بأنفسكم كم أنتم مشروطون عندما يظهر
صراع في استمرارية اللذة أو الهرب إلى الألم. وإذا كان كل ما يحيط
بكم يحدث على نحو سعيد بشكل كامل، فأنتم تحبون زوجتكم، وهي
بدورها تحبكم، ولديكم منزل جميل، وأبناء مهمون، ونقود بوفرة. وفي
هذه الحال لستم واعون لإشراطكم. ولكن عندما ينبعث اضطراب،
وعندما تنتظر زوجتكم إلى رجل آخر، أو تفقدون ثروتكم، أو أنكم
تجدون أنفسكم مهددين بالحرب، أو أي أمر آخر يسبب لكم الألم أو
القلق - إذاً تدركون أنكم مشروطون. وعندما تكافحون ضد
اضطراب ما أياً كان، أو تدافعون عن تهديد ما خارجي أو داخلي،
تدركون إذاً أنكم مشروطون. ومثلما تجد الأغلبية نفسها مضطربة
في معظم الوقت سواء سطحياً أو بالعمق، فاضطرابنا هذا خاصتنا
يشير إلى أننا مشروطون. لطالما أن حيواناً مدلاً، فهو يتصرف بشكل
مرض، ولكن في اللحظة التي يجد فيها نفسه ضمن جو معادٍ له
فيُظهر إذاً عنفه كله، وشراسته كلها.

نجد أنفسنا مضطربين في ما يتعلق بالحياة، والسياسة، والوضع
الاقتصادي، والوحشية، والألام الموجودة كلها سواء في العالم أو في
أنفسنا نحن، وهذا الاضطراب يُظهر لنا كم أننا مشروطون على نحو

ضيق. فماذا يجب علينا أن نفعل؟ هل نقبل الاضطراب ونتعايش معه، كما يفعل معظم البشر؟ نعتاد عليه، كما أننا نعتاد على وجع الظهر؟ ونكيف أنفسنا معه؟

إنها نزعتنا جميعاً لتكيف أنفسنا مع الأشياء، ونعتاد عليها، ونضع الذنب في ذلك كله على الظروف التي تحيط بنا. «آه، لو أن الأشياء كانت تجري بالشكل الجيد، لكنتُ شخصاً مختلفاً» ونقول إما «أعطني فرصة وأنا أنطلق فرحاً»، أو «يسحقني الظلم وكل هذه الأشياء الظالمة في الحياة» - دائماً نضع الذنب في اضطراباتنا على الآخرين أو الوسط المحيط بنا أو الوضع الاقتصادي.

إذا ما اعتدنا على الاضطراب، فهذا يعني أن عقلنا يضعف، كما هي حال شخص قد يعتاد بطريقة ما على أن يعيش وسط الجمال الذي يحيط به من دون أن يلاحظه بعد. نصبح لا مباليين، وقساءة، وغير حساسين، ويوهن عقلنا أكثر فأكثر. وإذا لم نستطع أن نعتاد على الاضطراب، فإننا نعمل على الهروب منه فنجري وراء المخدرات، أو ندخل في حزب سياسي، صائحين بشعاراته، أو نكتب، ونشاهد مباراة كرة قدم، أو نذهب إلى كنيسة أو معبد، أو نبحث عن نوع آخر من التسلية.

ما هو السبب الذي يدفعنا للهرب من الوقائع الحقيقية؟ أولعلنا نخشى الموت - هذا فقط على سبيل المثال - ونبتدع نظريات وآمالاً، ومعتقدات من كل صنف، ولكي نموّه واقع الموت، ولكن هذا الواقع يظل موجوداً. ولكي نفهم واقعاً فمن الأجدى رؤيته وليس الهرب منه. عموماً بقدر ما لدينا الخوف من الحياة نفسها، فلدينا الخشية نفسها من الموت. ولدينا خوف من عائلتنا، ومن الرأي العام، ومن فقدان وظيفتنا، ومن عدم حصولنا على الشعور بالأمان، وخوف من مئات

الأشياء الأخرى. الواقع ببساطة هو أننا نعاني الخوف، وليس أننا نخاف من هذا وذاك. ولكن لماذا لا نستطيع مواجهة هذا الواقع؟ فقط نستطيع مواجهة الواقع في الحاضر «الآن وهنا»، ولكننا إذا لم نسمح له أن يكون حاضراً، لأننا في حالة هروب دائم منه، فلن يكون بوسعنا مواجهته إطلافاً، ونخلق شبكة هائلة من التهربات، فقد هيمنت علينا عادة الهروب.

والحال هذه، فإذا كنتم حساسين، وجددين، فعلى أقل قدر ممكن، قد لا تكونون واعين لإشاراتكم، ولكنكم في الوقت نفسه تكونون واعين للمخاطر الناجمة عنها. للوحشية، وللغضب، وما يقودان إليه. لماذا إذن، إذا ما رأيتم خطر الإشراف فلا تتصرفون حيال ذلك؟ أولأنكم ثقلو الهمة؟ الكسل هو نقصان في الطاقة؛ إلا أنه لا تنقصكم الطاقة عند مثل خطر جسماني حالي - كثعبان في طريقكم على سبيل المثال، أو هاوية ما، أو نشوب حريق حولكم. بالله عليكم لماذا لا تتصرفون على هذا النحو عندما ترون خطر إشاراتكم؟ إذا رأيتم خطر «القومية» على شعوركم بالأمان أفلا تتصرفون حيال ذلك؟

الإجابة هي أنكم لا ترون (1). فمن خلال سياق فكري تحليلي تستطيعون رؤية «القومية» على أنها تقود إلى التدمير الذاتي، ولكن ليس في هذه الرؤية أي محتوى انفعالي. فقط عندما يتواجد هذا المحتوى الانفعالي تحصلون على الحيوية.

إذا رأيتم خطر إشاراتكم على أنه مجرد مفهوم فكري، فلن تفعلوا أي شيء البتة فيما يتعلق به. ففي خطر إدراك خطر ما كمجرد فكرة،

(1) كقول المسيح: «نظراً تنظرون ولا ترون، سمعاً تسمعون ولا تصفون» (المترجم)

وثمة نزاع بين الفكرة والفعل. وهذا الصراع ينتزع منكم الطاقة. فقط عندما ترون الإشارات وخطره ففي الحال كما لو أن هاوية تمثّل أمامكم، وفقط إذاك تتصرفون، إذن فالرؤية هي الفعل.

يُمضي معظمنا الحياة على نحو غير منتبه، فالتصرف من دون تفكير وفقاً للوسط المحيط الذي ترعرعنا فيه وردود أفعال مشابهة له تسبب لنا العبودية أكثر، وتسبب لنا إشارات أكثر، ولكن في اللحظة التي تمارسون فيها انتباهكم كله لإشاراتكم، تجدون أنفسكم أحراراً من الماضي. فهو ينفصل عنكم إذاك بشكل طبيعي.

الفصل الثالث

عندما تصبحون واعين لإشراراتكم سوف تفهمون كلانية وعيكم. الوعي هو الحقل الكلي حيث يفعل الفكر، وحيث توجد العلاقات. كل البواعث والنوايا والرغبات والملذات والمخاوف والإلهامات والأشواق والآمال والأوجاع والأفراح... تلتقي كلها في هذا الحقل. ولكننا نقسم الوعي إلى فعال وآخر خفي، أو نقسمه إلى مستوى أعلى ومستوى أدنى، وبمعنى آخر، ففي السطح تكمن الأفكار كلها والمشاعر ونشاطات كل يوم. وتحتها ما يُدعى باللاوعي subconsciente حيث تكمن الأشياء غير المألوفة، والتي تعبّر عن نفسها عَرَضِيًّا من خلال بعض الإحياءات والإلهامات والأحلام.

نشغل أنفسنا بركن صغير من الوعي الذي يشكّل الجزء الأعظم من حياتنا. أما بالنسبة للباقي أي ما ندعوه باللاوعي مع بواعثه كلها، ومخاوفه، وصفاته العرقية والوراثية، ولا نعلم حتى كيف ننفذ إليه. والآن، أسألكم: هل يوجد حتى ذلك الشيء الذي ندعوه باللاوعي؟ إننا نستخدم كثيراً هذه الكلمة على نحوٍ طليق. إننا نقرّ بوجود هذا الشيء، وعبارات المحللين النفسانيين وعلماء النفس كلهم ومصطلحاتهم تغلغلّت في لغتنا، ولكن هل يوجد أمر كهذا أي اللاوعي؟ ولأي سبب نوعز إليه هذه الأهمية؟ يبدو الأمر بالنسبة لي تافهاً وأحمقاً كما الأمر بالنسبة للعقل الواعي، فمجاله ضيق جداً، وأعمى

لدرجة كبيرة، ومشروط وقلق، ومن دون قيمة تماماً بقدر ما هو الأمر بالنسبة للعقل اللاواعي.

وهكذا، أولعله ممكن أن نصير واعين بشكل كامل لحقل الوعي كله، وليس فقط لقسم منه، أو جزء منه؟ فإذا استطعتم أن تصبحوا واعين للكلائية، فلسوف تتصرفون دائماً، وأنتم في حالة انتباه كلي وليس في حالة انتباه جزئي. ما يهم هو فهم هذا الأمر لأنه عندما يكون المرء واعياً لحقل الوعي كله، فلن يتواجد ثمة تصادم. وعندما ينقسم الوعي فيتشكل كله من الفكر والشعور والفعل - على مستويات مختلفة، فإذاك يكون هناك ثمة تصادم.

نعيش بأسلوب تجزيئي. ففي المكتب نكون شيئاً، وفي البيت نكون شيئاً آخر، نتكلم عن الديمقراطية، وفي العمق نكون مستبدين، ونتكلم عن الحب للقريب، وفي الوقت نفسه نقوم بقتله في تناقضنا معه، جزء منكم فعال، يلوح مستقلاً عن الآخر. هل تعون هذا الوجود المجزأ في داخل أنفسكم؟ الدماغ الذي جزأ وظيفته خاصته، وفكره خاصته إلى أجزاء، هل سيكون ممكناً له أن يصبح واعياً للحقل كاملاً؟ هل من الممكن أن ننظر إلى الوعي الكامل كله وعلى نحو كلي، الأمر الذي يعني أن نكون كائنات إنسانية كلائية؟

ومن أجل فهم البنية الكلية لـ«الأنا» ذات التعقيد الخارق، فإذا تتبعتم الأمر خطوة فخطوة مكتشفين إياها طبقة طبقة، ومتفحصين كل فكر، وشعور، وحافز، ستجدون بأنفسكم أن ذلك كله واقع في شبكة السياق التحليلي، الأمر الذي سيأخذ معكم أسابيعاً، وشهوراً، وسنوات.. فعندما ندخل عامل الوقت في مجرى إدراك الذات علينا أن نكون مهيين لكل صنف من التشوه، نظراً إلى أن «الأنا» هي كيان معقد، يتحرك، ويعيش، ويكافح، ويرغب، وينكر، ويكون عرضة لإيحاءات

التوترات وكل نوع آخر يؤثر فيه باستمرار. وعلى هذا النحو ستكتشفون بأنفسكم أنه ليس هذا الطريق الذي يتوجب عليكم اتباعه، وستقهمون أن الطريقة الوحيدة لتتظروا إلى أنفسكم هو القيام بذلك على نحو كلي، وبالحال خارج حقل الزمن، و فقط بوسعكم أن تروا كلانية أنفسكم ذاتها عندما لا يكون العقل مجزأ. وما ترونه في كلانيته هو الحقيقة.

ولكن، هل أنتم قادرون على ذلك؟ ليس معظمنا قادراً على ذلك، ولأننا لا نتطرق إطلاقاً إلى المسألة بجدية، ولأننا في حقيقة الأمر لا ننظر إلى أنفسنا إطلاقاً. نقوم برمي الذنب على الآخرين، ونرضي أنفسنا بتفسيرات، أو نشعر بالخوف من النظر. ولكن، عندما تتظرون على نحو كلي، فلسوف تمارسون انتباهكم كله، ووجودكم كله، وكل ما لديكم، عيونكم، وأذانكم، وأعصابكم، ستكون منتبهة أكثر للاستسلام الأكثر كمالاً، ولن يتواجد إذاك مكان بعد للخوف، أو للتناقض، وبالتالي لن يتواجد صراع بعد.

لا يعني الانتباه نفس الشيء الذي يعنيه التركيز. فالتركيز هو استثناء، والانتباه هو إدراك لا يستثني شيئاً. لا يبدو لي أن معظمنا واع، لا لما هو موجود هنا فقط، وإنما لوسطنا المحيط، للألوان التي تحيط بنا، وللأشخاص، ولهيئة الأشجار، والغيوم، وحركة المياه. حالة اللاوعي هذه تحصل ربما لأننا مهتمون جداً بذواتنا، وبمشاكلنا التي لا معنى لها، وبأفكارنا خاصتنا، وبملذاتنا، وبمشاغلنا، وبأطماعنا، لدرجة أنه لا يكون بمقدورنا بعد أن نكون واعين على نحو موضوعي. وبالرغم من ذلك، يُحكى الكثير عن الإدراك. ذات مرة، كنت مسافراً في الهند في سيارة. وكان السائق يقود السيارة، وأنا كنتُ جالساً إلى جانبه. وكان وراءنا ثلاثة رجال يتناقشون بحماسة حول الموضوع بين الفينة والأخرى، وفي تلك اللحظة حيث كان السائق ينظر إلى جهة أخرى، لسوء الحظ

دهس ماعزأ، وتابع الرجال الثلاثة النقاش حول الإدراك، ذاهلين تماماً عن حادث دهس الماعز. وعندما ألمحت إلى انعدام انتباههم هذا، إذاك أظهر الفرسان الثلاثة مفاجأةهم الكبرى حيث كانوا منهمكين جداً لدرجة أنهم لم ينتبهوا للأمر.

يحصل الشيء نفسه مع معظمنا. فنحن لسنا واعين لا للأشياء الخارجية ولا للداخلية. فإذا رغبتم فهم جمالية التعقيدات، فما عليكم إلا منح انتباهكم كله - ووقتذاك فذاك هو الإدراك. وفقط تستطيعون منح انتباهكم كله عندما يكون لديكم شغف، أي بمعنى آخر عندما تحبون فعلياً، ضعوا إذن كل قلبكم وكل عقلكم عند الاكتشاف.

هذا الإدراك هو أمر مشابه لمن يعيش في غرفته مع ثعبان، فيرصد كل حركة من حركاته، فيكون حساساً على درجة عالية تجاه كل ضوضاء يحدثها. إنها طاقة كلية حالة انتباه كهذه، ويتجلى في هذا الإدراك لحظياً كلية ذواتكم خاصتكم.

وعندما تتظنون بهذه الطريقة العميقة، فإنكم تستطيعون حتى أن تنزلوا أكثر عمقاً. وباستخدامنا لكلمات «أكثر عمقاً» فنحن لا نقوم بالمقارنة. ولكننا نفكر على نحو مقارن - عميق وسطحي، سعيد وشقي. نقيس على الدوام، ونقارن. ومع ذلك أوهل يوجد تماماً في أحد ما مستوى سطحي وآخر عميق؟ وعندما أقول إن «عقلي سطحي، وحقير، وضيق، ومحدود» كيف لي أن أعرف عن هذه الأمور؟ لماذا أقارن عقلي مع عقولكم، على أنه أكثر ألقاً، ويتمتع بقدرة أكبر، وهو أكثر ذكاءً ويقظة. هل أستطيع التعرف على اضمحلالي من دون مقارنة؟ وعندما أشعر بالجوع فأنا لا أقارن هذا الجوع مع الجوع الذي أحسستُ به البارحة. فجوع البارحة هو فكرة لا أكثر. يعني بعبارة أخرى هو عبارة عن مجرد ذاكرة.

إذا اتخذت قياس نفسي دائماً بالنسبة لكم، واجتهدت لكي أكون مساوياً لكم. فأنا إذن أرفض نفسي. وبالنتيجة، فأنا أخلق وهماً. وعند الفهم بأن المقارنة مع أي شكل فهذه المقارنة تقود إلى وهم وعذاب أعظمين أيضاً، مثلما هو الأمر عندما أقوم بتحليل نفسي خاصتي، وأنا أزيد من معرفتي شيئاً فشيئاً، أو أتماهى مع أمر خارج نفسي - (الدولة، المخلص، أو أيديولوجيا)، وعند الفهم بأن هذه السياقات كلها تقود فقط إلى تكيف أكثر وصراع أيضاً، ولذلك تخلّوا عن كل مقارنة. وبالتالي لا يكون عقلي في حالة مسمى. ومن الأهمية بمكان أن نفهم ذلك. وإذا كان فإن عقلي لا يلتمس شيئاً، ولا يسعى إلى شيء ولا يتساءل. وهذا يعني أن تكون راضياً على ما أنت عليه. وإنما نعم، ألا يكون لدى العقل أي وهم إطلاقاً. يمكن إذن التحرك على مستوى مختلف كلياً. والمستوى الذي نحيا فيه حياتنا اليومية، من ألم ولذة، وخوف، يشكل إشاراتاً للعقل، ويحد من طبيعته، وعندما يتوقف هذا الألم، واللذة، والخوف عن وجودهم كلهم (الأمر الذي لا يعني ألا يكون لديك بعد فرح، والفرح هو أمر مختلف كلياً عن اللذة)، والعقل ينتقل إذاً للعمل على مستوى مختلف، حيث لا يوجد صراع، ولا أي فكرة عن التمييز.

بوسعنا فعلياً الوصول فقط حتى هذه النقطة، فما يوجد بالغيب ليس بالإمكان التعبير عنه بكلمات، لأن الكلمة ليست هي ذلك الشيء. وحتى هنا، استطعنا القيام بالوصف والشرح، ولكن لا الكلمات ولا التفسيرات بإمكانها فتح الباب. فالذي يفتح الباب هو الإدراك والانتباه اليوميان - إدراك للطريقة التي نتكلم فيها، وعماداً نتحدث، وطريقتنا في المشي، وما نفكر به. فيحدث ذلك مثل تنظيف مسكن وترتيبه على نحو جيد. فترتيب المنزل يكون هاماً لاعتبار، ومن دون أهمية كلياً لاعتبار آخر. فيجب تواجد نظام في المسكن، ولكن النظام لن يفتح لا

الباب ولا النافذة. فما يفتح الباب ليس هو إرادتكم، ولا رغبتكم. فليس ممكناً بحال من الأحوال أن تتم دعوة «الحالة الروحية» الأخرى. وإنما كل ما يمكن فعله هو فقط إبقاء المسكن مرتب، الأمر الذي يعني أن تكون فاضلاً لكونك تحب الفضيلة، وليس لأن ذلك سيجلب لنا تلك «الحالة الروحية» الأخرى - بأن تكون متوازناً، وعقلانياً، ومنظماً. إذن، لربما إذا كنتم محظوظين فالنافذة ستُفتح وتدخل النسمة. وأيضاً من الممكن ألا يحدث ذلك. فكل شيء يتعلق بحالة عقلكم. وحالة العقل هذه فقط يمكن أن تُفهم من خلالكم أنتم أنفسكم عند رصده من دون محاولة قولبته، ومن دون أن يكون جزئياً، ومن دون معاكسته، ومن دون الموافقة على شيء ما، ولا التكيف، ولا الإدانة، ولا الحكم، بمعنى آخر أن تكون راصداً من دون القيام بأي اختيار. وبناء على هذا الإدراك من دون اختيار، فلربما سيفتح الباب، وتتعرفون على ذلك المستوى حيث لا يوجد صراع ولا زمناً.

الفصل الرابع

ذكرنا في الفصل السابق أن الفرح هو أمر مختلف تماماً عن اللذة، وبالنتيجة، رأينا ما تتضمنه اللذة، وفيما إذا كان ممكن أن نعيش في عالم حيث لا توجد اللذة، وإنما حالة خارقة من الفرح والبركة (الهناء الكبرى).

إننا جميعاً مشتركون في السعي إلى اللذة على هذا أو ذاك الشكل - لذة فكرية، وحسية أو ثقافية، ولذة في الإصلاح، وفي القول للآخرين ما يتوجب عليهم فعله، وفي تلطيف شرور المجتمع، وعمل الخير، واللذة بالحصول على المعارف الأكثر اتساعاً، وعلى الإشباع الجسماني الأعظم، وعلى تجارب أكثر، وإدراك للحياة أكثر، وعلى امتلاك كل الصفات العقلية الموهوبة والفطنة، وبشكل طبيعي على اللذة المطلقة في امتلاك الله.

اللذة هي بنية المجتمع. من الطفولة وحتى الموت، سرّاً أو بمخادعة أو علناً...، نسعى للذة. هكذا، أيّاً كانت طريقتنا للشعور باللذة، أظن أنه يتوجب علينا رؤيتها بوضوح جداً، لأنها هي التي سوف ترشد وتقولب حياتنا. وبناء عليه، فما يهم هو أن يتحصّن كل واحد منا بانتباه وفطنة ودقة مسألة اللذة، لأن العثور على اللذة وفيما بعد القيام بتغذيتها، والمحافظة عليها يكون حاجة أساسية للحياة. ومن دونها يصبح وجودنا رتيباً وأحمقاً، ومظلاً بالوحدة، ومن دون أي معنى.

سوف تتساءلون: «إذن، لأجل أي سبب لا يتعين على حياتنا أن يتم إرشادها من قبل اللذة؟» - لسبب بسيط جداً ذلك أن اللذة تجلب معها بالضرورة الألم والإحباط والعذاب والخوف، وكنتيجة لذلك كله يأتي الخوف ويأتي معه العنف أيضاً. فإذا رغبتم أن تعيشوا بهذه الطريقة، فلتعيشوا، وبتعبير آخر فالأغلبية منا تقوم بذلك. ولكنكم إذا رغبتم أن تتحرروا من العذاب، فيتوجب عليكم أن تفهموا البنية الكاملة للذة.

إن فهم اللذة لا يعني إنكارها. فلسنا هنا في صدد إدانتها، أو التصريح بأنها جيدة أو سيئة، ولكننا إذا غذيناها، وقمنا بها بعيون مفتوحة عالمين أن العقل يسعى للذة على الدوام فهو، أي العقل سيجد مع اللذة ظلها على نحو لا يمكن تجنبه أي - الألم. والحقيقة أن الاثنين لا يمكن فصلهما عن بعضهما، ومع ذلك فإننا نسعى إلى اللذة ونعمل على تجنب الألم.

والحال هذه، لماذا يطلب العقل اللذة دائماً؟ ولأي سبب نقوم بأشياء نبيلة ودينئة دائماً مع الرغبة السرية للذة هذه؟ لماذا نضحّي ونتألم، ونحن متعلقون على الدوام بهذا الخيط الرفيع للذة؟ ما هي اللذة، وكيف تولد؟ لا أدري فيما إذا كان البعض منكم قد طرح على نفسه هذه الأسئلة وذهب في هذه الأسئلة حتى آخر نتيجة لإجاباته عنها.

تتواجد اللذة على أربع مراحل: الإدراك، والإحساس، والاتصال، والرغبة. فأنا أرى سيارة جميلة على سبيل المثال، يأتي تالياً إحساس كرد فعل، وبعد ذلك، اللمس باليدين أو تخيل لمسها، وتأتي إذاك الرغبة بامتلاك السيارة والتفاخر بها. أو أنني أرى غيمة جميلة، وجبلاً مرتفعاً بوضوح في عمق السماء، وورقة نبتت لتوها في الربيع،

وواد عميق مليء بالافتتان والعظمة، وغروب الشمس المجيد، ووجه جميل وذكي وحي. و«عندما يتدخل العقل فيصبح واعياً لجمال ذلك كله فإذاك يُجَرِّدُ ذلك كله من الجمال نفسه». فانا أنظر إلى هذه الأشياء بمتعة هائلة، وبينما أرصدها، لا يكون هناك ثمة راصد، وإنما فقط الجمال بنقائه، وكذلك الحب أيضاً. وللحظة واحدة أكون غائباً مع مشاكلها كلها، وهمومي، وآلامي، وما يكون موجوداً فقط هو ذلك الشيء الرائع. وأستطيع النظر إليه بفرح ونسيانه في اللحظة التالية، وإلا قد يتدخل العقل - وههنا تبدأ المشكلة: يفكر عقلي في ذلك الذي رآه وفي جماله، وأقول من ذاتي إلى ذاتي، أنه بودي أن أعود لرؤيته مرات كثيرة. ويبدأ الفكر بالمقارنة، وبالمحاكمة، والقول: «أريد تكرار ذلك غداً». فاستمرارية تجربة اللحظة تقدم متعة يتم المحافظة عليها من خلال الفكر.

والأمر نفسه يحدث في علاقة تتضمن علاقة جنسية أو غيرها. ما من سوء في الرغبة، والتفاعل يكون طبيعياً بشكل كامل. وعندما أحقن جسدي بإبرة مخدرة فأنا أتفاعل إزاء ذلك، هذا إذا لم أصبح من دون حركة. ولكن الفكر يتدخل، ويظل يفكر في تلك المتعة وأقوم بتحويلها إلى شعور باللذة. فيرغب الفكر بتكرار التجربة ويقدر ما يتم تكرارها أكثر بقدر ما تصبح آلية أكثر، ويقدر ما أفكر بها أكثر بقدر ما أجبر الفكر على الاستسلام للذة. وبهذه الطريقة، يخلق الفكر ويبقى على اللذة من خلال الرغبة ويعطيها استمرارية، وبالنتيجة، فإن رد الفعل الطبيعي للرغبة أمام شيء جميل يتم إفساده من خلال الفكر. فالفكر يحوله إلى ذاكرة التي تتغذى إزاء ذلك من خلال التفكير على نحو متكرر في ذلك الشيء.

ولدى الذاكرة بشكل طبيعي مكانها خاصتها عند مستوى ما.

ومن دونها لن تكون لدينا إمكانية للتأثير على الحياة في كل يوم. وفي مجالها خاصتها على الذاكرة أن تكون مقتدرة، ولكن ثمة حالة للعقل حيث ثمة مكان قليل جداً بالنسبة لها. فالعقل الذي لا يُعاق بالذاكرة لديه الحرية الحقيقية.

هل لاحظتم أنكم عندما تتفاعلون كلياً مع شيء ما افتراضي، بكل القلب تكاد لا توجد ذاكرة؟ فقط عندما لا تستجيبون إزاء تحد بكل كينونتكم إذاك يحضر الصراع إلى المشهد، والنزاع الذي يسبب فوضى ولذة أو ألم. الصراع يوِّد الذاكرة. وهذه الذاكرة تزداد باستمرار من خلال ذاكرات أخرى، وهذه الذاكرات هي التي تتفاعل. ويكون كل شيء نتيجة للذاكرة قديماً. وبالتالي لا يكون حراً إطلاقاً. حرية الفكر هي أمر لا يوجد فهو مناقض لنفسه.

ليس الفكر جديداً على الإطلاق لأن الفكر هو استجابة الذاكرة والتجربة والمعرفة. الفكر الذي هو قديم، يجعل من كل ما ينظر إليه بمتعة قديماً أيضاً، وللحظة تشعرون فيها بعمق، فمن القديم تأتي اللذة، وليس إطلاقاً من الجديد. فمن الجديد لا يوجد الزمن.

وهكذا، فإذا استطعتم أن تنظروا إلى كل الأشياء من دون تطفل اللذة - النظر إلى وردة، طير، لون ساري (ثوب هندي نسائي)، جمال تدفق الماء وهو يترقرق على الأرض، أو أي شيء ممتع - فإذا استطعتم النظر هكذا، ومن دون أن ترغبوا بأن الوجود يتكرر. فإذاك لن يكون هناك ألم، ولا خوفاً، وبناء عليه يتواجد فرح لانهائي.

إنه الصراع من أجل تكرار وإدامة اللذة التي تتحول إلى ألم. إرصدوا هذا في دواخلكم. التلهف خاصتكم لتكرار اللذة يُنتج الألم، لأنه ليس إطلاقاً الشيء نفسه الذي تم اختباره البارحة. إنكم تصارعون من أجل الحصول على المتعة نفسها، وليس فقط بالنسبة لحسكم السكوني،

وانما أيضاً بالنسبة لمقلكم، وتصيرون زملائين ومحبتين لأنه يُمنع عنكم.

هل لاحظتم ما يحدث عندما تُمنع عنكم لذة صغيرة؟ وعندما لا يكون لديكم ما ترغبون الأمر الذي يجعلكم قلقين، وحسودين، وحقودين.. وهل لاحظتم أنه عندما تُمنع عنكم لذة التدخين أو الشرب أو اللذة الجنسية أو أي شيء آخر - هل لاحظتم الصراعات التي يتوجب عليكم دعمها من حيث لا تدرون؟ وكل ذلك هو شكل من أشكال الخوف أليس هذا حقيقة؟ لديكم خوف من ألا تحصلوا على ما ترغبون أو من أن تفقدوا ما لديكم. وعندما يتزعزع إيمان ما أو أيديولوجيا قمتم على تغذيتها لسنوات طوال أو يتم انتزاعها منكم أو أنها تتحطم من خلال منطق الحياة، أليس لديكم خوف من أن تجدوا أنفسكم وحيدين؟ وهذا المعتقد قدم لكم إشباعاً ولذة لسنوات طوال، وعندما تم سحبه منكم أصبحتم تائهين فارغين، ويدوم الخوف حتى تعثرون على أشكال أخرى من اللذة، وعقيدة أخرى.

وهذا يبدو لي بسيطاً جداً، ولكونه بسيطاً جداً، فنحن لا نريد رؤية بساطته. نحب تعقيد كل شيء. وإذا ما تخلت زوجتكم عنكم ألن تشعروا بالغيرة؟ ألن تشعروا بالغضب؟ ألن تبغضوا الرجل الذي أغواها؟ أليس هذا كله هو الخوف من فقدان المصدر الذي يمنحكم الشعور باللذة كثيراً، ومن فقدان هذه الرفقة، ومن فقدان ذلك الشعور بالأمان والإشباع الذي تمنحه الملكية؟

وهكذا فإذا ما فهمتم أنكم عندما تسعون للذة فما من مهرب من الألم، ويمكنكم إذا ما استحسنتم العيش وفقاً لهذه الطريقة، يجب عليكم أن تعرفوا معرفة تامة للخطوة التي تخطونها. إذن، وبالرغم من ذلك رغبتم بوضع نهاية للذة، الأمر الذي يعني وضع نهاية للألم،

فيتوجب عليكم أن تكونوا منتبهين بالكامل للبنية الكلية للذة، ولكن لا يجب عليكم نبذها على النحو الذي يقوم به الرهبان والسانياس (نساك وفقاً لطريقة أحد المعلمين)، الذين لا ينظرون لامرأة لأن هذا معصية، وبهذه الطريقة يدمرون حيوية الإدراك خاصتهم، ولكنه لواجب رؤية كل المعنى وأهمية اللذة. ستعثرون إذاك على فرح لانهائي في الحياة. الفرح هو أمر حالي، وإذا فكرتم به تحولونه إلى لذة. أن تحيوا في الحاضر هو الإدراك الحالي للجمال والمتعة الكبرى التي تجدونها فيه (الإدراك)، ومن دون أن تبحثوا عن استخلاص اللذة منه.

الفصل الخامس

قبل أن نخوض في المسألة أكثر فأكثر، بودي أن أسالكم عن اهتمامكم الأساسي، والثابت في الحياة. مُنحّين جانباً أي إجابات خاطئة، ومواجهين المسألة مباشرة وبنزاهة، بَمَ ستجيبون؟ هل تعلمون؟ أوليس هو شخصكم خاصتكم؟ ذاك هو على الأقل الذي بالإمكان أن يجيب عنه معظمنا، هذا إذا ما أجبنا بإخلاص. فما يهمني هو مشكلاتي، ووظيفتي، وعائلي، وركني الصغير حيث أعيش فيه، واكتسابي مكانة أفضل بالنسبة لي، وشأننا أعظم، ونفوذنا أكبر، وسلطة أقوى على الآخرين... الخ. أفكر أنه سيكون من المنطقي أن نعترف لأنفسنا خاصتنا، بأن في هذا كله يكمن بشكل أساسي اهتمام أغلبيتنا: «أنا» أولاً.

يقول البعض إن الأمر سيئ أن نكون مهتمين أساساً بأنفسنا خاصتنا. ولكن ما هو السيئ في ذلك باستثناء الواقع الذي نادراً ما نعترف به بشكل لائق، وبنزاهة؟ فإذا ما قمنا بذلك، وأحسنا بأنفسنا خجولين بعض الشيء فهأهنا بالتالي، الواقع: كل واحد هو أساساً مهتم بذاته خاصته، ولعدة أسباب سواء كانت منطقية أو ذات طابع وراثي، ويجري التفكير بأن ذلك أمر سيئ. ولكن هذا الأمر الذي يفكر فيه شخص ما ليس بذئ أهمية، والحال هذه، فلماذا يُدخِل هذا العامل - التفكير بأن ذلك الأمر سيئ؟ فهذا الأمر هو عبارة عن فكرة

ومفهوم. الواقع بشكل أساسي ومستديم هو أن كل واحد منا مهتم بذاته خاصته.

يُقال إنه باعث أكثر على الشعور بالإشباع مساعدة القريب، من التفكير بالذات نفسها. فما هو الاختلاف؟ في الحقيقة، إن ذلك يستمر بكونه مهماً في ذاته نفسها. فإذا لاقيتهم إشباعاً أعظم بمساعدة الإدراك، فإنكم تكونون مهتمين في أمر يتيح لكم إشباعاً أعظم. لم القبول بأي مفهوم أيديولوجي في هذا الخصوص؟ ولماذا هذا الأسلوب الازدواجي في التفكير؟ ولماذا لا يجري التصريح بـ: «إن ما أرغب به فعلياً هو الإشباع سواء كان جنسياً أو مساعدة الآخرين أو في أن أجعل من نفسي قديساً كبيراً، أو عالماً كبيراً، أو سياسياً (دبلوماسياً)؟ فالأمر يتعلق بالسياق نفسه. ألا تظنون ذلك؟ الشعور بالإشباع بكل الطرق الفطنة هو كل ما نرغب به. نقول إننا نرغب بالحرية، ونرغبها لأننا على هذا المستوى نعثر على شعور رائع بالإشباع، والشعور بالإشباع الأعظمي، وبشكل طبيعي فهذه فكرة مميزة عن تحقيق الذات، الأمر الذي يعني في الحقيقة أن ما نسعى إليه هو إشباع، ومن دون أي بقية لأثر من عدم الإشباع.

تتوق الأغلبية منا إلى الشعور بالإشباع من خلال شغلهم لمكانة ما في المجتمع بسبب خوفنا من أن نكون «لا أحد». والمجتمع مكون بطريقة كهذه حيث أن المواطن يشغل مكانة محترمة، ومعاملته بكل تهذيب، بينما ذلك الذي ليس لديه مكانة يركله (يرفضه) الآخرون، هكذا تتم معاملته مجازاً. فالجميع في هذا العالم يرغبون بالوجاهة، ومكانة في المجتمع، وفي العائلة أو الجلوس عن يمين كاهن الله، ولكن يجب أن يتم الاعتراف بهذه المكانة من قبل الآخرين، لأنه على العكس من ذلك لن يكون اسمها وجاهة. ونريد الجلوس دائماً على المنبر. ونحن داخلياً لسنا أكثر من

دوامات من الغم والمكر، وبالتالي يُنظر إلينا خارجياً كصورة كبيرة تتيح إشباعاً هائلاً. فهذه الرغبة بالمكانة، والوجاهة، والقدرة، وأن يتم الاعتراف بي من خلال المجتمع كشخص في الصدارة، فهذه الرغبة تمثل إرادة للسيطرة على الآخرين، وهذه الإرادة في السيطرة هي شكل عدواني. والقديس الذي يسعى إلى مكانة من خلال قداسه يكون عدوانياً إلى هذا الحد مثل الطيور الذين ينقرون بعضهم بعضاً في عشهم. وما هو سبب هذه العدوانية؟ الخوف أليس كذلك؟

الخوف هو إحدى مشاكل الحياة الأكثر رهبة. والعقل الذي يكون واقعاً بين برائن الخوف فهو يتأهى ليعيش في حالة من الفوضى والصراع، وبالتالي يترتب عليه أن يصير عنيفاً، ومعوجاً وعدوانياً. ولا يجازف في إبعاد نفسه عن قوالبه الفكرية خاصته، وهذا يؤدي إلى ما ندعوه بـ«المراعاة». ولطالما أننا لا نحرر أنفسنا من الخوف، حتى أننا نتسلق القمة الأكثر علواً، ودرجة أننا نأخذ في ابتكار كل صنف من الآلهة، ومع ذلك نظل دوماً في الظلام.

أن نعيش في مجتمع فاسد بهذا المقدار، وأحمق حيث نُعلّمنا التربية على التافس - الأمر الذي يوّد الخوف - فنرى أنفسنا مغمومين بمخاوف من كل صنف، والخوف شيء هائل، يلوي ويشوه ويُظلل أيامنا بالحزن.

يوجد الخوف الجسماني، ولكن هذا النوع من الخوف هو رد فعل موروث عن الحيوان. ولكن ما يهمنا هنا هو الخوف النفساني، لأنه بفهمنا للمخاوف النفسانية المتجذرة فينا بعمق، سوف نكون مؤهلين لمواجهة الخوف الحيواني، في حين أننا إذا اهتممنا أولاً بالخوف الحيواني، فلن نفهم إطلاقاً المخاوف النفسانية.

كلنا لدينا خوف من شيء ما، فالخوف لا يوجد كشيء مجرد، بيد

أن الخوف يوجد فقط ضمن علاقة مع شيء ما . تعلمون ما هي مخاوفكم - الخوف من خسارة وظيفتكم، وبألا يكون لديكم طعام أو مال كافيان، الخوف بما يفكر بكم الجيران أو العامة، وبألا تحققوا «نجاحاً»، أو بأن تفقدوا مكانتكم في المجتمع، فيتم احتقاركم أو تصبحون محل سخرية، والخوف من الوجد والمرض، ومن أن يُسيطر عليكم الآخرون، ومن ألا تصلوا لمعرفة الحب أو من ألا تكونوا محبوبين، ومن أن تفقدوا زوجتكم أو أبناءكم. ولديكم الخوف من الموت أو من العيش في عالم مساوٍ للموت، عالم من ملل لا ينتهي. والخوف من ألا تتوافق حياتكم مع الصورة التي كوَّنها عنكم الآخرون. والخوف من أن تفقدوا إيمانكم - هذه كلها، ومخاوف أخرى كثيرة لا تُحصَى... هل تدركون مخاوفكم الشخصية؟ وماذا اعتدتم أن تفعلوا إزاءها؟ أوليس حقيقة أنكم هريتم منها أو أنكم ابتكرتم أفكاراً وصوراً من أجل التغطية عليها؟ ولكن الهروب من الخوف يجعله أعظم شأناً مما كان عليه.

يكن أحد الأسباب الرئيسة للخوف في أنه ليست لدينا الرغبة في مواجهتها له على ما نحن عليه. وهكذا، فعلياً أن نتفحص على السواء مخاوفنا وهذه الشبكة لطرائق الهروب التي خلقناها من خلال مخاوفنا نفسها. وإذا كان العقل الذي يحتوي الدماغ يسعى للهيمنة على الخوف، ويسعى لكبته، وضبطه، والسيطرة عليه، وترجمته إلى أمر مختلف، فاعتباراً من هذا كله تنشأ المصادمة والصراع، وهذا الصراع ليس أكثر من تبديد للطاقة.

وبالتالي، فالشيء الأول الذي يتوجب علينا أن نسأل أنفسنا عنه هو: «ما هو الخوف؟ وكيف يوَلد؟» ماذا نفهم من كلمة خوف في حد ذاتها؟ إنني أسأل نفسي ما هو الخوف وليس ممأ أنا خائف. أعيش وفقاً لطريقة ما، وأفكر وفقاً لنموذج محدد، ولدي بضعة

معتقدات وعقائد، ولا أريد أن تكون هذه النماذج الوجودية مشوشة، لأن جذوري تكمن فيها. لا أريد لها أن تكون مشوشة لأن التشويش يُنتج حالة من الضياع لا أرغب فيها. فإذا كنت منفصلاً بعنف عن الأشياء التي أعرفها وأعتقد بها، فإنني أرغب أن أكون آمناً بشكل معقول تجاه الأشياء التي سوف أقابلها. فالخلايا العصبية خلقت نموذجاً، ذلك أن هذه الخلايا العصبية نفسها ترفض خلق نموذج آخر يمكن أن يكون غير مؤكّد. فالحركة من الأکید إلى الغير أكید هي ما نسميه بالخوف».

ففي هذه اللحظة حيث أنا جالس، لا أشعر بالخوف، وليس لدي خوف من الحاضر، ولا شيء يحدث لي، ولا أحد يهددني، ولا يأخذ مني شيئاً. ولكن ما وراء هذه اللحظة الحاضرة ثمة طبقة أكثر عمقاً للعقل هي واعية أو غير واعية، وتعمل على التفكير فيما يمكن أن يحدث في المستقبل أو تقلق بواقع ما من الماضي يمكنه إيدائي. وبالتالي، فأنا لدي خوف من الماضي ومن المستقبل. جزأت الزمن إلى ماضٍ ومستقبل. ويتدخل الفكر قائلاً: «حذار، بالأ تَدع ذلك يحدث». أو هيئ نفسك للمستقبل! فيمكن أن يكون المستقبل خطيراً. لديك الآن شيء ما، ولكن من الممكن أن تفقده. ومن الممكن أن تموت غداً. يمكن أن تغادرك زوجتك. ومن الممكن أن تخسر وظيفتك. ربما لن تصير مشهوراً على الإطلاق. ومن الممكن أن تجد نفسك معزولاً. وتحتاج أن تكون آمناً إزاء الغد بشكل كامل».

الآن خذوا بعين الاعتبار خوفكم خاصتكم. أنظروا إليه. إرصدوا ردود أفعالكم تجاهه. هل يمكنكم أن تنظروا إليه من دون أي حركة تهدف للهروب منه، أو التكيف معه، ولا إدانته، أو قمعه؟ هل يمكنكم أن تنظروا إلى ذلك الخوف، من دون الكلمة التي تتسبب بالخوف؟ هل يمكنكم النظر إلى الموت على سبيل المثال، من دون التسمية (الكلمة)

التي تُحدث الخوف من الموت؟ تُنتج الكلمة نفسها ذعراً أليس كذلك؟ -
كما الأمر مع كلمة «حب» فهي تُنتج مشاعر الحنان، وصورته خاصته.
إذن من المؤكد أن الصورة التي تحتفظون بها في العقل فيما يتعلق بالموت،
وذاكرة عدة ميئات كنتم شاهدين عليها، وتربطون شخصكم بأحداث
بهذا المقدار - أليست هذه هي الصورة التي تخلق الخوف؟ أو فعلاً
لديكم خوف من الانتهاء، وليس من الصورة التي تخلق النهاية؟ أليست
كلمة الموت التي تسبب لكم الخوف أو الانتهاء نفسه؟ فإذا كانت الكلمة
أو الذاكرة هي التي تسبب لكم الخوف. إذن، فالأمر لا يتعلق فعلاً
بالخوف.

لنعتبر أنكم كنتم مرضى منذ سنتين. وتستمر الذاكرة التي تحمل
ذلك الوجد، وذلك المرض. والذاكرة الآن تعمل وتقول: «حذار، كي لا
تمرض ثانية!». وبالنتيجة فالذاكرة مع ارتباطاتها هي التي تخلق
الخوف، وهذا ليس الخوف فعلياً لأنه بالفعل أنتم في هذه اللحظة
تتمتعون بصحة كاملة. والفكر الذي هو قديم على الدوام - ذلك أن
الفكر هو ارتجاع (رد فعل) الذاكرة. والذاكرات هي قديمة على الدوام -
فالفكر يخلق في الزمن الفكرة التي تجعلكم خائفين، تلك التي ليست
واقعاً حقيقياً. فالواقع الحقيقي هو أنكم بصحة جيدة. ولكن التجربة
التي استمرت في العقل كذاكرة تعمل على انبعاث فكرة «حذار، كي لا
تمرض ثانية!».

نحن نرى كيف أن الفكر يُؤدّ صنفاً من خوف. ولكن بفصله
عن الفكر، هل يوجد خوف بالفعل؟ أليس الخوف ناجماً على الدوام
من الفكر؟ وإذا كان الجواب بالإيجاب، فالسؤال هو: هل يوجد نوع
آخر من الخوف؟ لا نخشى الموت - شيء سوف يحدث غداً أو بعد غد
في الزمن، ثمة مسافة بين الواقع وبين ما سيكون. والحال هذه، اختبر

الفكر هذه الحالة، وهو يرصد الموت فهو يقول: «أنا ساموت». يخلق الفكر الخوف من الموت، وإذا لم يخلقه، هل يوجد إذاك الخوف بالفعل؟

أوليس الخوف ناجماً عن الفكر؟ فإذا كان الجواب بالإيجاب، ذات مرة يكون الفكر قديماً على الدوام، فالخوف هو الآخر قديم على الدوام. وكما قلنا فما من فكر جديد. وإذا تعرفنا عليه فهو قديم لتوه. وبالتالي فما نخشاه هو تكرار القديم - الفكر حول ما كان مُسقطاً نفسه في المستقبل. وبالنتيجة فالفكر هو المسؤول عن الخوف. فهذا واقع بمقدوركم رصده بأنفسكم. وعندما ترون أنفسكم مباشرة في حضور شيء ما، فليس ثمة خوف. فقط عندما يظهر الفكر يكون هناك خوف، وبناء عليه، نتساءل الآن: هل من الممكن للعقل أن يعيش بطريقة كاملة، كلية في الحاضر؟ فقط هكذا ليس لدى العقل خوف. ولكن من أجل فهم ذلك، عليكم أن تفهموا بنية الفكر والذاكرة والزمن. وبفهمنا لها ليس فكراً ولا لغوياً، وإنما بطريقة واقعية بكل قلبكم وكل عقلكم وكل أحشائكم، فستحررون من الخوف. ويستطيع العقل إذاك أن يستخدم الفكر من دون أن يخلق خوفاً.

الفكر مثل الذاكرة، إنه بشكل طبيعي ضروري للحياة. فهو الوسيلة الوحيدة التي تهيؤنا لكي نتواصل مع بعضنا بعضاً، ولكي نعمل في وظائفنا... الخ. الفكر هو رد فعل الذاكرة، الذاكرة المتراكمة بواسطة التجربة والمعرفة والموروث والزمن. ومن هذا التراكم للذاكرة تصدر ردود أفعالنا، وردود الأفعال هذه تكون الفكر. فالفكر بالتالي هو جوهرى على بعض المستويات، ولكن عندما يُسقط الفكر نفسه نفسانياً على المستقبل، وعلى الماضي، فيخلق الخوف تماماً كما اللذة، فيضعف العقل، وبناء عليه يجعل من العطالة أمراً لا يمكن تجنبه.

وهكذا أسأل نفسي: «ولكن لماذا أفكر في المستقبل وفي الماضي، ضمن مصطلحات اللذة والألم، عندما أدرك أن هذا الفكر يوِّلد الخوف؟ أليس ممكناً إيقاف الفكر نفسانياً ذلك أنه بأسلوب آخر فالخوف لن تكون له نهاية إطلاقاً؟»

تكمّن إحدى وظائف الفكر في أن يكون مشغولاً باستمرار بأمر ما. وعموماً فإننا نرغب أن يكون العقل مشغولاً باستمرار لكي يحجب عنا رؤية أنفسنا كما نحن بالفعل. لدينا خوف من شعورنا بالفراغ. لدينا خوف من مواجهة مخاوفنا العميقة.

هل تستطيعون إدراك مخاوفكم على نحو واع، ولكن على أن تكونوا واعين لها على مستويات أكثر عمقاً؟ وكيف ستذهبون لاكتشاف المخاوف الخفية والسرية؟ هل يمكن تجزئة الخوف إلى واحد واع وآخر غير واع؟ فهذا سؤال هام جداً. الأخصائي، وعالم النفس، والمحلل النفسي يجزئون الخوف إلى طبقات عميقة، وطبقات سطحية، ولكن إذا ذهبتم في اتباع عالم النفس أو في اتباع ما أقوله أنا، فستحصلون على إدراك لنظرياتنا وعقائدنا ومعارفنا، ولكن لن يكون لديكم إدراك لذواتكم أنتم أنفسكم. لن تستطيعوا فهم أنفسكم وفقاً لفرويد أو يونغ أو وفقاً لي. ففي هذه الحال؛ فإن نظريات الأشخاص الآخرين لا تملك أدنى أهمية. وأنتم يجب أن توجهوا سؤلكم لأنفسكم، فيما إذا كان من الممكن تجزئة الخوف إلى واع وآخر غير واع. ثمّة رغبة فقط. وأنتم ترغبون، وتتوعد أهداف الرغبة، ولكن الرغبة هي نفسها على الدوام. لربما هكذا وينفس الطريقة يوجد خوف فقط. لديكم خوف من مقدار من الأشياء، ولكن ما يوجد هو الخوف فقط.

وعند إدراككم بأن الخوف لا يمكن تجزئته فسترون كيف أنكم ستنتهون من مشكلة اللاوعي. فتتوقفون عن استماعكم لعلماء النفس

والمحللين النفسانيين. وعند فهمكم بأن الخوف هو حركة وحيدة تعبر عن نفسها بمختلف الطرق، وعند رؤيتكم للحركة وليس للهدف الذي تتوجه نحوه، ستكونون إذاك في حضور مسألة ضخمة: كيف ننظر للخوف من دون التجزئة التي يغذيها العقل؟

فقط ثمة خوف كلي، ولكن كيف للعقل الذي يفكر على نحو تجزيئي أن يرصد هذا الإطار الكلي؟ هل تستطيع رصده؟ اتخذنا حياة من التجزئة، ونحن قادرون فقط على النظر إلى الخوف من خلال السياق التجزيئي للفكر. وكل سياق لميكانيكية الفكر هو تجزئة كل شيء إلى أجزاء: أنا أحبك، وأنا أكرهك، أنت صديقي، وأنت عدوي. مزاجاتي وميولي، وظيفتي، ومكانتي، وجاهتي، وزوجتي، وابني، ووطني ووطنك، إلهي وإلهك.. كل هذا تجزئة للفكر. والفكر ينظر للمستوى الحالي للخوف، أو يحاول النظر إليه، وتقليصه إلى أجزاء. ونرى بالنتيجة أن العقل يستطيع فقط رؤية هذا الخوف الكلي عندما لا يكون ثمة حركة للفكر.

هل يمكنكم أن ترصدوا الخوف من دون أي استدلال، ولا أي تدخل من جانب المعرفة التي راكمتوها؟ إذا لم يكن بوسعكم، إذاك فما ترصدونه هو الماضي وليس الخوف، وإذا كان بوسعكم، ففي هذه الحال تكونون ولأول مرة راصدين للخوف من دون تدخل للماضي.

تستطيعون النظر فقط بعقل هادئ جداً، كما هو الأمر إذا كان ممكن الاستماع إلى أحد فقط يتكلم، وعندما لا يكون العقل في حالة ثرثرة، ولا يخوض مع نفسه حواراً فيما يتعلق بمشاكله وهمومه. هل تستطيعون بالطريقة نفسها النظر إلى خوفكم من دون أن تسعوا إلى إغائه، ومن دون أن تجلبوا إلى المشهد نقيضه الشجاعة. وأن تتظروا إليه كواقع ولا تحاولون الهروب منه؟

وعندما تقولون: «علي أن أسيطر عليه، وعلي أن أتحرر منه، وعلي فهمه». فإن كل ما تقومون به هذا ينضوي تحت لواء الهروب منه. تستطيعون أن ترصدوا غيمة، وشجرة، أو حركة نهر بعقل هادئ نسبياً، لأن هذه الأشياء ليست مهمة إجمالاً بالنسبة لكم، ولكن رصده بالنسبة لكم فإنه لأمر أصعب بكثير، لأن المتطلبات إذاك هي عملية جداً. وردود الفعل سريعة جداً. وهكذا عندما تكونون على اتصال مباشرة مع الخوف أو اليأس، ومع الوحدة والغيرة، أو مع أي حالة أخرى للعقل باعثة للاشمئزاز، فهل تستطيعون النظر بطريقة كاملة جداً لدرجة يبقى فيها عقلكم هادئاً على نحو كافٍ من أجل رؤيته؟

يستطيع العقل إدراك الخوف، وليس الأشكال المختلفة للخوف، إدراك الخوف الكلي، وليس ذلك الذي تخافون منه. فإذا نظرتكم بشكل مجرد إلى تفاصيل الخوف أو سعيتم للانتهاء من مخاوفكم واحداً فواحداً، فإنكم لن تبلغوا إطلاقاتاً النقطة المركزية التي تكمن في تعلم التعايش مع الخوف.

التعايش مع شيء حي كالخوف مثلاً، يتطلب ذلك عقلاً وقلباً فطينين على نحو عال، لا يصلان إلى أي نتيجة قادرين بالتالي على اتباع كل حركة للخوف. إذن، فإذا رصدتم الخوف وتعايشتم معه - ومن أجل ذلك ليس من الضرورة أن تتفوقوا يوماً كاملاً، لأن دقيقة أو ثانية قد تكون كافية لمعرفة الطبيعة الكاملة للخوف - وإذا تعايشتم معه بشكل كامل، ستتساءلون على نحو لا يمكن تجنبه: «أي كينونة هذه التي تتعايش مع الخوف؟ أي كينونة هذه التي ترصد الخوف، وترصد كل حركة لكل أشكال الخوف، وفي الوقت نفسه واعية للواقع المركزي للخوف؟ أولعل الراصد سيكون كينونة ميتة، كائن سكوني، يراكم كمية كبيرة من المعارف والمعلومات بخصوصه هو نفسه، وهذا الشيء المائت

هو الذي يرصد ويحيا مع حركة الخوف؟ - ما هي إجاباتكم؟ لا تجيبوني أنا، وإنما أجيّبوا أنفسكم أنتم. تكونون أنتم - الراصد - كينونة ميتة ترصد شيئاً حياً، أو تكونون شيئاً حياً يرصد شيئاً حياً آخر؟ ولماذا تتواجد في الراصد كلتا الحالتين؟

الراصد هو المراقب الذي لا يرغب الخوف، والراصد هو مجموع كل تجاربه التي تشير إلى الخوف. وهكذا فالراصد يكون منفصلاً عن الشيء الذي يدعى الخوف، وثمة فراغ بين كليهما، وهو يحاول السيطرة عليه والهروب منه على نحو أبدي. ومن هنا تصدر هذه المعركة بينه وبين الخوف - وهذه المعركة هي فقدان لكمية هائلة من الطاقة.

ستتعلمون من خلال رصده أن الراصد هو مجرد حزمة من الأفكار والذاكرات الفاقدة الصلاحية، ومن دون أي جوهر، ويقدر ما كان ذلك الخوف واقعاً، وهكذا تحاولون إدراك واقع بتجريد. وهذا لا يمكن القيام به بشكل طبيعي. ولكن أوّلعل الراصد الذي يقول: «أخاف»، مختلف عن الشيء المرصود أي الخوف؟ الراصد هو الخوف، وذات مرة يتم إدراك ذلك، لن يكون هناك تبديد للطاقة في الجهود الذي يُقام به من أجل التحرر من الخوف، والفاصل من الزمن - الفراغ، وبين الراصد والشيء المرصود يزول. وعندما تدركون أنكم جزء من الخوف لستم منفصلين عنه، وأنكم أنتم الخوف، فإذاك ما من شيء يمكن القيام به في هذا الخصوص: وينتهي الخوف كلياً.



الفصل السادس

الخوف، واللذة، والألم، والفكر، والعنف، كلها متداخلة فيما بينها. نعثر عند الأغلبية على اللذة في العنف، وبعدم حب أحد ما، وفي كراهية عرق ما أو فئة من الأشخاص، وفي تغذية مشاعر عدوانية تجاه الآخرين. ولكن في الحالة العقلية التي يزول فيها العنف بشكل كامل، ثمة فرح مختلف جداً عن لذة العنف، مع نزاعاته وأحقاده ومخاوفه. أو نستطيع أن ننفذ حتى جذر العنف ونتحرر منه؟ وإلا فبالعكس، سنعيش لنتقاتل بشكل دائم أفراداً ضد الآخرين. وإذا كان الأمر بهذه الطريقة ترغبون أن تعيشوا - وعلى نحو ظاهري فإن معظم الأشخاص يرغبونها - تستمرون إذن على هذا النحو، فإذا قلتم: «والحال هذه، أنا أسف، فالعنف لن يكون له نهاية، ولن ينتهي إطلاقاً» - وفي هذه الحالة فأنا وأنتم ليس لدينا إمكانية للاتحاد معاً، فذات مرة تُحشرون فيها، وإذا قلتم وقتذاك ربما توجد طريقة مختلفة للعيش، وسوف يكون إذاك هناك إمكانية للمشاركة.

لنأخذ بعين الاعتبار أننا سوية - أولئك الذين هم منا ويملكون الإمكانية على الاتحاد معاً - إذا ما كانت توجد إمكانية ما للانتهاء كلياً من أي شكل للعنف موجود في داخلنا، وفي الوقت نفسه سنعيش في هذا العالم المريع والوحشي. أظن ذلك ممكناً. لا أرغب أن يكون في ولا حتى أقل خفة ظل من الكراهية، والغيرة، والقلق، أو الخوف. أرغب أن أعيش

بسلام على نحو تام. ولكن هذا لا يعني أنني أرغب بالموت. أرغب
بالعيش على هذه الأرض الرائعة المليئة للغاية بالحياة، والثروة،
والجمال! فأنا أرغب برؤية الأشجار، والأزهار، والأنهار، والمروج،
والنساء، والأطفال، وفي الوقت نفسه أن أعيش على نحو تام بسلام مع
نفسي ومع العالم. ماذا أستطيع أن أفعل؟

إذا تعلمنا النظر إلى العنف، ليس فقط بالخارج، في المجتمع -
الحروب، والثورات، والحروب الأهلية، والنزاعات بين الطبقات - ولكن
أيضاً في دواخل ذاتنا، لربما إذاك نحصل على إمكانية تجاوز العنف.
هذه مشكلة شائكة جداً. فمنذ قرون وقرون، الإنسان عنيف،
والأديان في العالم كله حاولت تهدئته، وما من واحد منها استطاع
النجاح بذلك على نحو جيد. وعلى هذا النحو، إذا ما خضنا في تفحص
هذه المسألة، فيتوجب علي مواجعتها بكل جدية، لأن هذا التفحص
يقودنا إلى نطاق مختلف بشكل كامل. ولكننا إذا رغبتنا أن نلهي أنفسنا
فقط فكرياً مع المسألة، فإننا لن نذهب بعيداً جداً.

بوسعكم التفكير أنه من جهتم فهذه المسألة تهكم بشكل
جدي. ولكن ذات مرة ثمة كثير من الناس في العالم لا تأخذ هذه
المسألة على محمل الجد ولا تُظهر أدنى استعداد لاتخاذ أي إجراء في
ما يتعلق بها، فما الفائدة أن تفعلوا أي شيء إزاءها؟ لا يهمني إذا كان
الآخرون يأخذون الأمر على محمل الجد أو لا، فأنا أتخذه جدياً،
والكا في وحده كما في. فأنا لست حارساً لأخي، وأنا من جهتي ككائن
إنساني، أشعر بقوة أنني مهتم في مسألة العنف هذه، وسأقوم بما هو
ضروري من أجل ألا أكون عنيفاً أنا شخصياً. ولكنني لا أستطيع أن
أقول لكم ولا لأحد: «لا تكونوا عنيفين». فهذا الكلام ليس فيه أدنى
معنى، لا بل إنكم أنتم شخصياً لن ترغبوا به. وعلى هذا النحو، فإذا

ما رغب شخص فهم مسألة العنف، فإننا نستطيع المتابعة سوية رحلتنا في الاكتشاف.

هل مسألة العنف خارجية أم داخلية؟ أولئك ترغبون في حل المسألة في العالم الخارجي، أم أنكم تتساءلون حول العنف في ذاته، كما هو موجود في داخلكم؟، وإذا داخلياً في ذواتكم كنتم أحراراً من العنف، فيظهر على الفور السؤال: «كيف أستطيع العيش في عالم مليء بالعنف، والجشع، والبخل، والحسد، والوحشية؟ أفن أتحطم؟ - لعل الإشارة إلى كلمات قايين بعدما قتل أخاه هابيل، هو السؤال الذي لا يمكن تجنبه، ويفرض نفسه على نحو لا تغيّر فيه. طرح سؤال كهذا لا يبدو لي أن أحداً يطرحه فهو يعيش بالفعل في سلام. إذا عشتم بهدوء، لن تكون لديكم مشكلة من أي صنف. يمكنكم أن تذهبوا إلى السجن إذا ما رفضتم الالتحاق بالخدمة الإلزامية العسكرية، أو تتعرضوا للإعدام رشقاً بالرصاص إذا ما رفضتم القتال، ولكن ليست هنا المشكلة: أن يتم الإعدام رشقاً بالرصاص. إن الأمر هام إلى درجة قصوى في أن نفهم ذلك.

إننا نحاول فهم العنف كواقع، وليس كفكرة، وإنما كواقع موجود في الكائن الإنساني، والكائن الإنساني هو أنا. ولتفحص المسألة، فعلياً أن أكون حساساً على نحو تام، ومنفتحاً للمسألة. عليّ أن أجرد نفسي من أقنعتها بنفسي، وليس ثمة حاجة في أن أفعل ذلك أمامكم، لأن هذا ربما لن يهمكم - ولكن يتوجب عليّ أن أجد نفسي في حالة عقلية أريد فيها اتخاذ التفحص إلى نهايته على نحو تام، ومن دون إيقاع في عند أي نقطة قائلاً: «لن أذهب أبعد من ذلك».

والحال هذه، يجب الرؤية بوضوح أنني كائن إنساني عنيف. كنت قد اختبرت العنف في الغضب، وفي الشهوات الجنسية، وفي

البغض، وفي خلق عداوات، وفي الفيرة... الخ. وباختباري ومعرفتي لهذا كله أقول: «أرغب فهم هذه المسألة بشكل كامل، وليس فقط جزء منها وفقاً لما تعبر عن نفسها في الحرب، وأريد أن أفهم هذه العدوانية الموجودة في الإنسان والتي توجد أيضاً في الحيوانات التي أشكل جزءاً منها».

ليس العنف مجرد قتل، ثمّة عنف في استخدام كلمة قاسية، وفي حركة تنم عن الاحتقار، وفي الطاعة التي باعثها الخوف. وبالتالي، فالعنف ليس فقط عبارة عن مذبحه منظمة باسم الله. وباسم المجتمع، وباسم الوطن. العنف هو أكثر دقة بكثير وعميق، ونحن نريد تفحص أعماقه الأخيرة.

عندما تدعون أنفسكم هندياً، أو محمدياً، أو مسيحياً، أو أوروبياً، أو أيّاً كان على حد سواء فأنتم عنيفون على نحو ما. هل تعلمون لماذا؟ لأنكم تفصلون أنفسكم عن باقي الإنسانية. وعندما تفصلون أنفسكم من خلال العقيدة والقومية والموروث فهذا يؤلّد عنفاً. وهكذا فالإنسان الذي يرغب فهم العنف لا يجب عليه الانتماء إلى أي قومية ولا أي ديانة، ولا أي حزب سياسي أو منظومة حزبية، فما يجب أن يهتم به هو إدراك كلي للإنسانية.

حسناً، ثمّة هناك مدرستان فكريتان تهتمان بالعنف. واحدة منهما تقول: «العنف غريزي في الإنسان»، والأخرى تقول: «العنف هو نتيجة إرث اجتماعي وثقافي للإنسان». ونحن لا تهمننا المدرسة التي تنتمون إليها، لأن هذا ليس له أدنى أهمية. وما يهمننا هو الواقع بأننا عنيفون وليس سبب هذا الواقع.

أحد تعبيرات العنف الأكثر شيوعاً هو الغضب. وعندما يهاجمون زوجتي أو أختي، أجدني ساخطاً بالتمام، وعندما تتم

مواجهة وطني، وأفكاري، ومبادئتي، وطريقتي في الحياة، أصبح أيضاً ساخطاً بالتمام. وأشعر أيضاً بالغضب، وعندما تتم مهاجمة عاداتي، وآرائتي التي لا معنى لها. وإذا أحد ما داس على قدمي أو شتمني، فإنني أغضب، أو إذا هرب أحدهم مع امرأتي فإنني أشعر بالغيرة، وهي غيرة في محلها أيضاً، لأنها ملكيتي. وكل تجليات الغضب هذه يجري تبريرها أخلاقياً. وأيضاً يجري تبرير القتل من أجل الوطن. وهكذا في كلامنا فيما يتعلق بالغضب الذي يشكل جزءاً من العنف، نعتبره ضمن مصطلحات الغضب العادل، أو الغضب الطائش، وذلك وفقاً لميولنا خاصتنا أو ضغوطات الوسط المحيط أو أننا نعتبره غضباً فحسب؟ وهل يوجد غضب عادل؟ أو يوجد الغضب فحسب؟ ليس ثمة تأثر جيد، وتأثر سيئ - فقط هناك تأثر. ولكن عندما أكون متأثراً بشيء لا يلائمني أدعوه متأثراً سيئاً.

وإذا دافعتكم عن عائلتكم، وعن وطنكم، وعن قطعة قماش ملونة تُدعى العلم، وعن عقيدة أو فكرة أو معتقد وعن ذلك الذي تريد امتلاكه أو ما هو رهن أيديكم، فهذا الدفاع خاصتكم يشير إلى الغضب. وهكذا فبوسعكم أن تنظروا إلى الغضب من دون أي تفسير أو تبرير، ومن دون أن تقولوا: «عليّ أن أحمي ما هو خاصتي» أو «كان لدي حق في أن أسخط» أو «أي حماقة مني، في أن أغضب؟» هل تستطيعون النظر إلى الغضب كشيء في حد ذاته؟ هل بمقدوركم النظر إليه بطريقة جديدة على نحو تام، أي بمعنى آخر، ومن دون الدفاع عنه، ومن دون إدانته؟ هل تستطيعون فعل ذلك؟

هل أستطيع أن أنظر إليك إذا كنتُ عدائياً تجاهكم أو إذا اعتبرتك شخصاً ممتازاً؟ فقط أستطيع رؤيتكم عندما أنظر إليكم بحذر ما حيث لا تحتوي النظرة على أي من هذه الأشياء المذكورة آنفاً.

والحال هذه، أستطيع رؤية الغضب بالطريقة نفسها، الأمر الذي يعني أنني حساس إزاء المسألة لدرجة أنني لا أقاومها، وأرصدها وأنتي أرصدها هذه الظاهرة الخارقة من دون ارتجاع (رد فعل) تجاهها؟ من الصعوبة بمكان اعتبار الغضب على نحو ما خالٍ من الشغف، في حين أنه أي الغضب يشكل جزءاً مني، ولكن هذا هو ما أنا أحاول القيام به. وهنا أنا كائن إنساني عنيف، لا يهم إذا كنت أسود أو خالسياً أو أبيض أو أحمر، ولا يهم إذا ورثت هذا العنف أو إذا ما كان المجتمع هو الذي أنتجه. فقط ما يهمني: «إذا كان ممكناً تحريري منه». تحريري من العنف يعني كل شيء بالنسبة لي. إنه أكثر أهمية بالنسبة لي من الجنس نفسه، والغذاء، والمكانة، لأنه شيء ما يفسدني بالكلية. به أدمر ذاتي، وأدمر العالم، أحتاج إلى فهم العنف وتجاوزه. أشعر أنني مسؤول وهذا ليس مجرد كلمات. أقول في ذاتي: «أستطيع فقط القيام بشيء ما إذا تجاوزت الغضب خاصتي، والعنف، والقومية». وهذا شعوري الذي يتوجب علي أن أفهمه، فالعنف الموجود في يمنحني حيوية مدهشة وشغفاً لفهمه.

ولكن، من أجل تجاوز العنف، فأنا لا أستطيع كبتة، ولا أستطيع القول: «والحال هذه، فهو يشكل جزءاً مني، وقد تم إنهاؤه» أو «أنا لا أريده». علي مواجهته، ودراسته، والدخول بحميمية معه، وهذه الحميمية ليست ممكنة إذا ما كنت أقوم بإدانته أو تبريره. إلا أننا في الحقيقة، نقوم بإدانته وتبريره. وبالنتيجة، أقول: «دعوني أدينه مؤقتاً أو أقوم بتبريره».

حسناً، فإذا رغبتم الانتهاء من العنف، والانتهاء من الحروب، فكم من النشاط الحيوي تمارسون من أجل ذلك؟ أفلا يهمكم موت أبناءكم الصغار، وأن يلتحق أبناءكم الأكبر سنناً بالخدمة العسكرية الإلزامية

حيث يُعاملون معاملة سيئة ويُسحقوا كآزهار؟ أفلا يهمكم هذا كله؟ يا إلهي! فإذا كان ذلك كله لا يهمكم فما الذي يهمكم أكثر؟ أن تحافظوا على أموالكم؟ أن تتمتعوا بالحياة؟ أن تتعاطوا المخدرات؟ أفلا تدركون أن العنف الموجود في داخلكم يدمر أبناءكم؟ أو أنكم ترونه فقط كصنف من التجريد؟

جيد، فإذا كان لديكم اهتمام في ذلك، مارسوه على الجسم والروح من أجل فهمه. لا تسندوا ظهركم على الكرسي قائلين: «هذا جيد، إرو لنا القصة كلها». أحتاج أن أجعلكم ترون بأنه لا يمكن رؤية الغضب ولا العنف من خلال عينيّن تدينان أو تبرّان. وإذا كان العنف لا يمثل بالنسبة لكم مسألة اضطرارية، أوليس بمقدروكم إبعاد ذينك الشئيين. وهكذا، ففي الدرجة الأولى، عليكم أن تتعلموا، وعليكم أن تصفوا للسياسي، وتتعلموا لماذا لستم موضوعيين، ولماذا تدينون أو تبررون. عليكم أن تتعلموا أنكم إذا أدنتم وبررتم فهذا لأنكم تشكلون جزءاً من البنية الاجتماعية حيث تعيشون، وهذا بدوره يشكل جزءاً من إشراطكم كالهوية التي تتضمن الألماني، والهندي، والأميركي، أو حتى غير الهوية كالعرق الأسود.. - أو ما هو عرضاً من حيث ولادتكم - مع الإضعاف العقلي كله الناجم عن هذا الإشراط. وللتعلم، ولاكتشاف شيء أساسي تحتاجون قدرة على النفاذ. فإذا امتلكتكم وسيلة واهنة، وسيلة مستنفدة، فلن تستطيعوا النفاذ عميقاً. وهكذا، فما نحن نقوم به هو شحذ الأداة التي هي العقل - هذا العقل الذي تم إضعافه بسبب التبرير والإدانة. فقط تكونون قادرين على النفاذ عمقاً إذا كان عقلكم نافذاً كإبرة وقوياً كالفولاذ.

لا يفيد شيئاً أن تسندوا ظهوركم وتسالون: «كيف سوف أصل لأن يكون لدي هذا العقل؟». عليكم أن ترغبوا بذلك على النحو الذي

ترغبون فيه وجبتكم القادمة، ولكي تملكوا عقلاً كهذا يتوجب عليكم رؤية ما يجعل عقلكم واهناً وأحمقاً حيث تكون هذه الحالة من المناعة التي تكرسونها من خلال نصبكم لجدران حول العقل تشكل جزءاً من الإدانة والتبرير. وإذا استطاع العقل التحرر من هذه الحالة فسيكون إذاك قادراً على الرؤية، والبحث، والنفاذ.. وهكذا، لربما تتوصل إلى حالة تكون فيها واعياً على نحو كلي للمشكلة في كلانيتها.

نعود إذن للمشكلة المركزية: من الممكن استئصال العنف المولود في داخلنا؟ إنها لهيئة من العنف أن نُصرِّح: «لم تتغير! لماذا لم تتغير؟» - ليس هذا ما أقوم به. لا شيء يعني بالنسبة لي إقناعكم بشيء ما. فالأمر يتعلق بحياتكم وليس بحياتي. طريقتكم في العيش هي شيء يتعلق بكم أنتم وحدكم. فما أسأل هو أنه إذا كان ممكناً بالنسبة لكائن إنساني يحيا نفسياً حيث لا يهم في أي مجتمع، وإذا كان ممكناً لهذا الكائن الإنساني تحريره داخلياً من العنف. وإذا كان ممكناً فهذا السياق نفسه سيخلق طريقة جديدة للعيش في هذا العالم.

تقبل الأغلبية العنف كطريقة حياة. حريان عالميتان مريعتان، لا شيء علمنا على ألا نحمل أكثر وأكثر أعلاماً فيما بين الكائنات الإنسانية - فيما بينكم وبينني. ولكن بالنسبة لأولئك الذين يرغبون بالتحرر من العنف فماذا يتوجب عليهم القيام به؟ أفكر بأنه ما من شيء سنحصل عليه بواسطة التحليل، سواء قمتم به أنتم بأنفسكم أو من خلال مهني. لربما نستطيع تغيير أنفسنا بخفة، والعيش أكثر هدوءاً بقليل، مع شعور بالحنان قليلاً أكثر، ولكن هذا في حد ذاته لا يمنحنا إدراكاً كلياً. ولكنني أحتاج تعلم التحليل لأنه في السياق التحليلي يصبح نافذاً للغاية، وهذه القدرة على النفاذ، والانتباه، والجدية، والتي ستمنح الإدراك الكلي. ما من أحد لديه عينان قادرتان على رؤية الكل في نظرة

خاطفة، فهذا الاستبصار ممكن فقط إذا استطعنا رؤية التفاصيل،
وفيما بعد نقوم بالوثبة.

البعض منكم، لكي يتحرروا من العنف، يفيدهم مفهوم، ومثال
يُدعى «اللاعنف»، ونفكر أنه عند امتلاكنا مثلاً يكون نقيضاً للعنف،
اللاعنف، فبوسعنا تحرير أنفسنا من الواقع، ومن الشيء الحقيقي،
ولكننا لا نستطيع. كنا قد ذكرنا عدداً لا يُحصى من الأهداف العليا،
والكتب المقدسة مليئة بهم، ومع ذلك نظل عنيفين، وبالتالي فلماذا لا
تواجهون العنف خاصتكم وتتسون الكلمة في حد ذاتها كلها؟

إذا رغبتم فهم الواقع، فعلى هذا طبقوا كل طاقتكم. هذا الانتباه
والطاقة يجري تحييدهما عندما يُخلق عالمٌ وهمي، مثالي. وهكذا، هل
تستطيعون نفي المثال بشكل كامل؟ الإنسان الذي هو جدي بالفعل
والذي يشعر بالشوق لاكتشاف ما هي الحقيقة، وما هو الحب، وليس
لديه مفهوم عن أي صنف كان. فقط فلتحيا ضمن ما هو كائن.

من أجل تفحص واقع غضبكم خاصتكم، فلا يجب إعلان حكم
عليه، لأنه في اللحظة نفسها التي تستوعبون فيها نقيضه، فتقومون
بإدانتها، وبناء عليه لن تستطيعوا رؤيته كما هو. وعندما تقولون إنكم لا
ترغبون أو أنكم تحتفظون بمشاعر البغضاء إزاء أحدهم، فهذا واقع،
ناهيكم أنه يبدو فظيلاً. فإذا نظرتم إليه، وإذا فحصتموه على نحو تام،
فإنه يتوقف عن الوجود، ولكن إذا قلتم: «لا يجب أن أكره أحداً على
الإطلاق، وإنما لا يجب أن يكون في قلبي إلا الحب». تصبحون إذاً
تعيشون في عالم مرآتي، ازدواجي. العيش بامتلاء في اللحظة الحاضرة
يعني العيش مع ما هو موجود، الواقعي، من دون فكرة الإدانة أو التبرير.
وإذاً تفهمونه بشكل كامل جداً لدرجة تصبحون فيها أحراراً منه.
وعندما يرى بوضوح فالمسألة تجد طريقها للحل.

ولكنكم تستطيعون الرؤية بوضوح وجه العنف، ليس فقط من الخارج، وإنما أيضاً من داخلكم، الأمر الذي يعني أنكم أحرار كلياً من العنف، وذات مرة لا تقبلون أي أيديولوجيا، أفعلكم سوف تتحررون بواسطة من العنف؟ إن هذا يتطلب تأملاً عميقاً جداً، وليس اتفاقاً بسيطاً أو خلافاً كلامياً.

أنجزتم قراءة سلسلة من التأكيدات، ولكن أفعلكم فهمتم كل هذا؟ عقلكم في حالة إشراف، وطريقتكم في الحياة، والبنية الكاملة للمجتمع الذي تحيون فيه، يمنعونكم من رؤية الواقع فتتحررون منه حالياً. وتقولون: «سوف أفكر بهذا الخصوص، سأخذ بعين الاعتبار إذا ما كان ممكناً أو ليس ممكناً التحرر من العنف. سوف أحاول أن أكون حراً منه»

إن هكذا تفكير لهو من الأشياء الأكثر فظاعة لدرجة يمكن القول فيها: «سوف أحاول». لا ليس هناك محاولة، وليس هناك اجتهاد شخصي. إما الناس تفعل أو لا تفعل. إنكم كمن يقبل الزمن كعامل لحل مشكلة منزله الذي تنطلق منه السنة اللهب. والمنزل يحترق، وكنتيجة للعنف الموجود في العالم بأكمله وفي دواخلكم وتقولون: «سوف أفكر في هذا» ما هي أفضل أيديولوجيا من أجل إخماد النار؟ وعندما تنطلق السنة اللهب من المنزل، أفعلكم تتناقشون إذاك حول لون شعر رأس رجل الإطفاء الذي يجلب الماء لإخماد النار؟

الفصل السابع

توقف العنف الذي انتهينا لتونا من التأمل فيه، لا يتضمن بالضرورة حالة نجد فيها العقل في سلام مع نفسه، وبالنتيجة في علاقاته كلها.

تتأسس العلاقات بين الكائنات الإنسانية على الآلية الدفاعية، المكوّنة من صورتين: صورة عن الذات، وصورة عن الآخرين. وتقوم العلاقة بين هاتين الصورتين، لا بين الكائنات الإنسانية. فالزوجة لديها صورة عن الزوج - ربما لا واعية، ومع ذلك فهي موجودة - والزوج يملك صورة عن الزوجة. ولدينا صورة عن بلدنا، وعن أنفسنا، ونحن نحصن هذه الصورة بشكل متواصل، مضيفين إليها شيئاً ما على الدوام. والعلاقة الموجودة هي بين هذه الصور لا أكثر. والعلاقة الحقيقية بين اثنين أو بين عدة كائنات إنسانية تتوقف بشكل كامل عندما لا يوجد تكوّن للصور.

العلاقة القائمة بين صور كهذه لا تؤدي إلى الشعور بالسلام إطلاقاً، ونظراً لكون الصور مُختلقة، ولا يمكن العيش على نحو مجرد. إلا أن هذا هو بالضبط ما نفعله جميعاً. نعيش بين حزمة من الأفكار، والنظريات، والرموز، والصور التي خلقناها عنا نحن ذواتنا وعن الآخرين، والتي هي ليست واقعية بالمطلق. كل علاقاتنا سواء كانت مع المُلْكِيَّة، أو مع الأفراد، أو الأشخاص، فهي تتأسس جوهرياً على هذا التكوّن للصور، ولهذا السبب فتتأصل دائماً صراع.

وكيف يكون إذن ممكناً أن نكون في سلام بالكامل في داخلنا، وفي كل علاقاتنا مع الآخرين؟ الحياة هي حركة علاقات، لأنه بطريقة أو أخرى فلن يكون هناك ثمة حياة، وإذا كانت هذه الحياة قائمة على تجرد، في فكرة، في افتراض نظري، إذاً فهذا العيش المجرد سيُنتج حتماً علاقات تصبح بدورها ميدان معركة. والحال هذه، هل سيكون ممكن للإنسان أن يعيش حياة داخلية بنظام كامل، ومن دون إكراه، ولا محاكاة، ولا كبت أو تصعيد بأي شكل من الأشكال؟ هل يستطيع الإنسان أن يُرسخ في ذاته نظاماً يكون من نوعية حية، وليست محبوسة في منظومة الأفكار - طمأنينة داخلية لا يمكن تشويشها في أي لحظة - وليس عالم مجرد، خيالي، خرافي. وإنما في حياة كل يوم في البيت وفي الوظيفة؟

يتوجب علينا تفحص هذه المسألة بدقة كبيرة. لطالما أنه ليس ثمة نقطة واحدة فقط في وعينا لم يتم إفسادها بسبب الصراع. وفي علاقاتنا كلها سواء كانت مع الشخص الأكثر حميمية أو مع جارنا أو مع المجتمع، فهذا الصراع موجود - الصراع هو تناقض، وحالة من الانقسام، والانفصال، والثنائية. برصدنا لأنفسنا ورصدنا لعلاقاتنا مع المجتمع، نلاحظ على أنه في كل مستويات وجودنا ثمة صراع، بأهمية أكبر أو أقل، والتي تثير إما ارتجاجات (ردود فعل) سطحية جداً أو نتائج مدمرة.

قَبْلَ الإنسان الصراع كجزء من وجوده اليومي، لأنه قبل المنافسة، والغيرة، والبخل، والجشع، والعدوانية كقاعدة طبيعية للحياة. وعندما نقبل قاعدة كهذه للحياة، فإننا نقبل بنية اجتماعية كهذه. ونعيش وفقاً للنموذج الذي يلقي احتراماً من قَبْلِ الآخرين. وفي هذه الشبكة يتم أسر الأغلبية، ذلك أن الجميع يتلهفون لكي يكونوا محترمين. ويفحص عقلنا

وقلبنا وطريقتنا بالتفكير، وطريقتنا بالشعور، والتصرف في الحياة اليومية، نلاحظ أننا بينما نكيّف أنفسنا لنموذج المجتمع، فعلى الحياة أن تكون ميداناً للمعركة. وإذا لم نقبله - لأن شخصاً متديناً لا يستطيع بحال من الأحوال قبول مجتمع كهذا - فسنكون إذّاك أحراراً بشكل تام من البنية النفسية للمجتمع.

الأغلبية منا غنية بأشياء المجتمع، الأمر الذي خلقه المجتمع فينا، ونحن أيضاً خلقناه في دواخلنا، إنه البخل، والحسد، والفضب، والبغضاء، والغيرة، والقلق - وكم نحن أغنياء بهذه الأشياء كلها. والأديان وعظمت دائماً العالم كله بالفقر. ويلبس الراهب ثوباً، ويغير من اسمه، ويحلق شعر رأسه بالكامل، ويدخل في قلاية (غرفة الراهب)، وينذر نفسه للفقر والعفة، ففي المشرق تراهم يكتسون مئزراً وجبة، ويتناولون فقط وجبة في النهار. وجميعنا نحترم هذا النوع من الفقر. ولكن الرجال الذين لبسوا جبة الفقر، يستمرون داخلياً ونفسانياً أغنياء بأشياء المجتمع نظراً لأنهم مازالوا في مسعى للمكانة والوجاهة، وينتمون إلى هذه الرهبنة أو تلك، ولهذا الدين أو ذاك، ويستمرون بالعيش في انقساماتهم خاصتهم التي تتبع ثقافة أو موروثاً ما. هذا ليس فقراً، فالفقر هو أن تكون بالكامل حراً من المجتمع، حتى وأنت تملك بعض الثياب وتتناول وجبات أكثر - يا إلهي! ما المهم في ذلك؟ ولكن، لسوء الحظ، فلدى معظم الأشخاص يوجد هذا الدافع من أجل حب الظهور.

يصبح الفقر شيئاً رائعاً وجميلاً عندما يكون العقل حراً من المجتمع. علينا أن نكون فقراء داخلياً، حيث ليس ثمة مسعى لأي شيء بعد، ولا حتى تساؤلاً، ولا من رغبة، ولا شيء! فقط هذا الفقر الداخلي يستطيع رؤية الحقيقة الموجودة في حياة من دون صراع بالكامل.

إن حياة كهذه هي بركة لا يُعثر عليها في أي كنيسة، ولا في أي

معبد .

ولكن، كيف يُؤتى لنا تحرير أنفسنا من البنية النفسانية للمجتمع الأمر الذي يكافئ «أن نحرر أنفسنا من جوهر الصراع نفسه؟ ليس صعب تقليم أو تشذيب بعض فروع الصراع، ولكننا في صدد مساءلة أنفسنا إذا ما كان ممكن أن نحيا في طمأنينة داخلية تامة، وبالنتيجة خارجية. وهذا لن يعني الخمول أو الركود، بل بالعكس يعني أن نصبح ديناميين ومليئين بالحيوية والطاقة.

ولكي نفهم ونتحرر من مشكلة، نحتاج إلى طاقة وافرة، شغوفة، ومتواصلة، ليس فقط جسمانية وفكرية، وإنما أيضاً طاقة مستقلة عن أي باعث، وعن أي معدّل مزاج أو مُخدّر. وإذا ما تعلقنا بأحد المعدّلات للمزاج، فإن هذا المنشط (معدّل المزاج) نفسه يجعل العقل مُضعفاً وعديم الحساسية. كما أن اتخاذ مخدر ما، يجعلنا نعثر بشكل مؤقت على طاقة كافية لكي نرى الأشياء بوضوح أكثر بكثير، لكن لا بد لنا أن نعود إلى حالتنا السابقة كما كنا قبل اتخاذ المخدر، وبناء عليه نصبح أكثر تعلقاً بهذا المخدر. وهكذا فإن كل معدّل للمزاج سواء كانت الكنيسة، أو الكحول، أو المخدرات، والكلمة المكتوبة أو المحكاة فسيُسبب هذا كله حتماً الإدمان - وهذا الإدمان يمنعنا من الرؤية بوضوح بأنفسنا، وبالنتيجة نفقد طاقتنا الحيوية.

لسوء الحظ جميعنا ندمن على أمر ما . فلماذا ندمن؟ لماذا يوجد هذا الدافع للإدمان؟ فنحن في صدد رحلة اكتشاف سوية، فلا تنتظروا مني أنا أن أظهر لكم أسباب إدمانكم. إذا ما تفحصنا سوية فإننا سوف نكتشفها، واكتشاف كهذا سوف يكون إذاك خاصتكم، وبالنتيجة لكونه خاصتكم فإنه سوف يمنحكم حيوية.

اكتشف بنفسي أنني أدمن على شيء ما، على قاعة للاستماع على سبيل المثال من أجل أن أنتشط. وهكذا أدمن على قاعة الاستماع هذه، وعلى التحدث وسط حضور للمستمعين كبير، فيجيتني نوع ما من الطاقة. وبالتالي، أدمن على هؤلاء المستمعين، وعلى هؤلاء الأشخاص سواء كانوا يوافقونني أو لا يتفقوا معي. وبقدر ما يختلفون معي بقدر ما يعطونني حيوية أكبر. وإذا وافقوا على ما أقوله لهم، فالأمر يصبح شيئاً سطحياً، وفارغاً. وهكذا اكتشف أنني أحتاج إلى مستمعين لأنه أمر منشط جداً أن أوجه الكلمة إلى أشخاص كثيرين. والحال هذه، لماذا؟ أفلاّنه لدي هذا الإدمان؟ أفلاّني لا أملك شيئاً داخلياً، فعلى المستوى الداخلي لا يوجد فيّ نبع مليء وافر بالحياة والحركة دائماً. ولهذا فأنا أدمن. اكتشفت السبب.

ولكن أفعل اكتشاف السبب سوف يحررني من أن أكون مدمناً؟ اكتشاف السبب عمل فكري بحت. وبالتالي، لهو أمر واضح أنه لا يستطيع تحرير العقل من إدمانه. إن مجرد موافقة فكرية لفكرة أو القبول الانفعالي لأيدولوجيا لا يمكن تحرير العقل من إدمانه ذلك الذي يمنحه تعديل المزاج (المنشط). فما يحرر العقل من الإدمان هو الإدراك الداخلي لبنية وطبيعة المعدل للمزاج والإدمان، وكيف أن هذا الإدمان يجعل العقل أحمقاً، وموهناً، وعاطلاً، فقط إدراك هذه الكلية يحرر العقل.

نقد إذن، وتفحص ما يعني أن تكون كلانياً. لطالما أنني أنظر إلى الحياة من وجهة نظر محدودة، واعتباراً من خبرة ما، أو معرفة ما راكمتها، وتكون عمقي، «أنيتي»، فلن أستطيع أن أرى على نحو كلي.

اكتشفتُ فكرياً، لفظياً من خلال التحليل علّة إدماني، ولكن كل

شيء يتفحصه الفكر يمكنه أن يكون فقط تجزيئياً، وبالتالي فقط بوسعي رؤية كلية أمر عندما لا يتدخل الفكر.

أدرك إذاك الواقع - إدماني. أدرك فعلاً ما هو. أنظر إليه من دون متعة، ومن دون إزعاج، ولا أرغب تحرير نفسي من هذا الإدمان أو من سببه. أرصده، ومع هذه النوعية من الرصد أدرك الإطار الداخلي، وعندما يدرك العقل الإطار الداخلي يُمنَح الانعتاق. والحال هذه، اكتشفت أنه ثمة تبديد للطاقة عندما توجد تجزئة. واكتشفت المصدر نفسه لتبديد الطاقة.

تستطيعون التفكير بأنه هناك فقدان للطاقة إذا اقتديتم، وإذا قبلتم السلطة، وإذا تعلقتم بالكاهن، والطقس والعقيدة والحزب أو بأيديولوجيا معينة، ولكن قبولكم واتباعكم أيديولوجيا جيدة أو سيئة مقدسة أو دنيوية فهي نشاط تجزيئي وبالتالي سبب للصراع، ويظهر الصراع على نحو حتمي عندما يكون هناك فصل بين ما «يتوجب أن أكون» وبين «ما أنا عليه»، وكل صراع هو تبديد للطاقة.

وإذا وجهتم لأنفسكم هذا السؤال: «كيف أستطيع التحرر من الصراع؟»

إنكم بهذا تخلقون مشكلة أخرى، وبالنتيجة تزيدون من الصراع، وعلى قدر ما تدركونه ببساطة كواقع - فإنكم ترونه كما سترون شيئاً ملموساً - واضحاً ومباشراً - وستفهمون إذاك الجوهر، وحقيقة حياة مجردة من الصراع.

وبكلمات أخرى: إننا دائماً نقارن ما نحن عليه مع ما يجب أن نكون عليه. فال«ما يجب أن يكون» إنما هو إسقاط لما نفكر بما يتوجب أن نكون عليه. فالتناقض موجود عندما يوجد هناك مقارنة، وليس فقط مع شيء ما، أو شخص، وإنما أيضاً مع ما كنا عليه البارحة،

وبالنتيجة، ثمة صراع بين ما كان والموجود. فقط يوجد الموجود. وعندما لا يكون هناك مقارنة من أي نوع كان، والعيش مع الموجود يعني أن نعيش في سلام. تستطيعون إذن ممارسة انتباهكم كله، من دون أي تمييز، وعندما يوجد في داخل ذواتكم - احتقار، وسوء نية (مكر)، ووحشية، وخوف، وقلق، وعزلة - والعيش مع هذا كله بشكل تام، فلن يكون هناك تناقض، وبالنتيجة لن يكون هناك صراع.

ولكن عندما نقوم بمقارنة أنفسنا مع بعض باستمرار - مع أولئك الذين هم أكثر ذكاءً أو أكثر غنى، والأكثر فكراً، والأكثر مودة، والأكثر شهرة، والأكثر من هذا والأكثر من ذلك، وهكذا دواليك. «الأكثر» يلعب دوراً ذا أهمية كبيرة جداً في حياتكم، وهذا القياس لأنفسكم مع شيء ما أو شخص هو واحد من الأسباب الرئيسية للصراع.

والحال هذه، لماذا نقوم بالمقارنة؟ لماذا تقارنون أنفسكم مع الآخرين؟ فهذه المقارنة تعلمتموها منذ الطفولة. ففي كل مدرسة، تجري مقارنة ب مع أ، وأ يدمر نفسه خاصته لكي يتساوى مع ب. وعندما لا تقوم بمقارنة ما، وعندما لا يكون هناك مثال، ولا نقيض، ولا عامل ثنائية، وعندما لا تصارعون بعد من أجل أن تكونوا مختلفين عما أنتم عليه - فما الذي يحصل لعقلكم؟ لقد تخلص عقلكم عن خلق النقيض وأصبح ذكياً وحساساً على درجة عالية، وقادراً على إدراك خارق، نظراً لكون كل جهد تبديداً للطاقة، فيحل محل الجهد الشغف، ذلك أن الشغف هو طاقة حيوية - ومن دون شغف فما من شيء يمكن القيام به.

وإذا لم تقارنوا أنفسكم مع شخص آخر، فتكونون على ما أنتم عليه، أفعلكم تظنون أنكم من خلال المقارنة تصبحون أكثر ذكاءً، وأكثر

جمالاً. ولكن هل تبلغون ذلك؟ فالواقع هو ما أنتم عليه، وعندما تقومون بمقارنته، فإنكم تجزئون الواقع - الأمر الذي هو تبيد للطاقة - وأن تروا ما أنتم عليه في الحقيقة، ومن دون مقارنة، فإن هذا يمنحكم طاقة هائلة للنظر. وعندما تستطيعون النظر من دون مقارنة، فإنتم بهذا تكونون قد تجاوزتم المقارنة، وهذا لا يعني بأن العقل يستتبع في القناعة. نرى إذن في الجوهر، كيف أن العقل يبذل الطاقة التي هي ضرورية جداً لكي نفهم كلانية الحياة.

لا أرغب بمعرفة مع من أنا في صراع، ولا أرغب بمعرفة الصراعات السطحية لتجربتي، فما أرغب بمعرفته هو لأي سبب يوجد الصراع. وعند توجيه السؤال لنفسي أدرك سؤالاً أساسياً بأنه لا شيء مشتركاً مع الصراعات المحيطية وحلولها. إنني مهتم بالمشكلة المركزية، وأنظر - ربما أنتم أيضاً ترونها - أن الطبيعة الخاصة للرجبة، إذا لم يكن لازماً فهمها، فسيقود ذلك حتماً للصراع.

إن الرغبة دائماً هي في تناقض، فأنا أرغب بأشياء متناقضة. أنا لا أقول إنه لازم تدمير، وقمع، والسيطرة، أو تصعيد الرغبة: فما أراه ببساطة هو أن الرغبة هي في ذاتها متناقضة، ليس غرض الرغبة هو المتناقض، وإنما طبيعة حقيقتها هي أنها متناقضة. علي أن أفهم طبيعة الرغبة قبل التمكن من فهم الصراع. ففي دواخلنا نرى أنفسنا في حالة تناقض. وهذه الحالة من التناقض تُخلق من خلال الرغبة - كون أن الرغبة في البحث عن اللذة، وتجنب الألم الذي قد عرفناه. وهكذا، نرى أن الرغبة كالجذر لكل تناقض - راغبين شيئاً، وفي الوقت نفسه لسنا راغبين له: نشاط مزدوج. وعندما نفعل شيئاً ممتعاً أوليس هناك ثمّة مجهود ما؟ ولكن الرغبة تجلب الألم، ويأتي تالياً الصراع من أجل تجنب الألم: وها هي طريقة إضافية لتبيد

الطاقة. ولماذا توجد هذه الثنائية؟ هناك، بالتأكيد ثمة ثنائية في الطبيعة - رجل وامرأة، نور وظل، ليل ونهار، ولكن لماذا توجد الثنائية على المستوى النفسي وعلى المستوى الداخلي؟ أرجوكم، فكروا معي سوية في هذا بطريقة تامة، يجب عليكم توظيف عقلكم من أجل أن تكتشفوا الأشياء، وكلماتي بسيطة هي مرآة حيث أنتم تنظروا إليها. فلماذا لدينا هذه الثنائية النفسية؟ لقد تم إشرافنا من أجل التمييز بين ما هو صحيح، وبين ما هو خاطئ، وبين ما هو جيد، وبين ما هو سيئ، بين ما هو أخلاقي، وبين ما هو غير أخلاقي. أفعل ظهور هذه الثنائية يعود لاعتقادنا أننا إذا فكرنا في نقيض العنف، وفي نقيض الحسد، والغيرة، والتفاهة، فهذا سوف يساعدنا على تحرير أنفسنا من هذه الأشياء؟ أفعل النقيض ينفعنا كرافعة لكي تحررنا من «الموجود»؟ أو أن الأمر يتناول هرباً من الحقيقة؟

هل ينفعكم النقيض كواسطة لتجنب «الموجود»، لكونكم لا تعلمون ما العمل به؟ أو أنكم تعلمتم منذ آلاف السنين من الدعاية أنه يجب أن يكون لديكم مثال - نقيض «الموجود» - لكي تتمكنوا من مواجهة الحاضر؟ وعندما يكون لديكم مثال تعتقدون أنه سوف يساعدكم على تحريركم من «الموجود» الأمر الذي لن يحدث إطلاقاً. تستطيعون أن تعظوا حول «اللاعنف» حتى نهاية حياتكم، وفي كل هذا الوقت تحصدون بذور العنف.

لديكم فهم حول ما يجب أن تكونوا عليه، وحول ما يجب أن تتصرفوا وفقه، والواقع هو ما تؤثرن به دائماً بطريقة مختلفة بالتمام. وترون بأنفسكم إذن أن المبادئ تقود حتماً إلى المرءة، وإلى حياة ليست نزيهة. فالمثال هو الذي يخلق نقيض «الموجود»، وهكذا فإذا أدركتم البقاء مع «الموجود» فالنقيض يصبح عديم الجدوى لا نفع فيه.

إنكم تسعون كي تصيروا مساوين للآخرين أو مساوين لمثالكم، وهذا هو أحد الأسباب الرئيسية للتناقض، والتشويش، والصراع. والعقل المشوش لا يهمله ما يفعل على أي مستوى يرغب، فسيظل مشوشاً. أرى هذا بوضوح جداً، أراه بوضوح كبير كما لو أنني أرى خطراً جسمانياً حالياً. ماذا يحصل إذن؟ أتخلى عن التصرف وفق مصطلحات التشويش. وبالنتيجة فاللافعل يكون إذاً هو الفعل التام.

الفصل الثامن

لم تُقدِّ عذابات الكبت إلى الحقيقة إطلاقاً، ولا ببريرية الانضباط للتكيف وفقاً لنموذج ما. فمن أجل لقاء الحقيقة على العقل أن يكون حراً بالكامل ومن دون أدنى تشوه.

لكننا أولاً، نسأل أنفسنا إذا كنا بالفعل نرغب أن نكون أحراراً. فعندما نتكلم عن الحرية، هل نقصد بذلك الحرية التامة، أو التحرر من شيء ما غير ملائم ومزعج أو غير مرغوب به؟ وبودنا أن نتحرر من الذكريات المؤلمة والمزعجة لتجارينا التعيسة محافظين مع ذلك على أيديولوجياتنا السارة والمشبعة، وعلى صيغ معينة وعلاقات محددة. ولكن الحفاظ على شيء دون الآخر أمر مستحيل، لأننا كما قد رأينا فاللذة ليست منفصلة عن الألم.

يكفي إذن لكل واحد منا أن يقرر إذا كان يرغب أو لا في أن يكون حراً تماماً. وإذا قلنا إننا نرغب بذلك، فعلياً إذاً أن نفهم طبيعة وبنية الحرية.

هل هي حرية أن يكون المرء حراً من شيء ما - حراً من ألم، أو أي نوع من القلق؟ أو الحرية في ذاتها هي أمر مختلف بالكامل؟ تستطيعون أن تكونوا أحراراً من الغيرة، ولكن أليست هذه الحرية عبارة عن ارتجاع (رد فعل)، وبالنتيجة فهي ليست بحرية. تستطيعون

أن تحرروا أنفسكم بسهولة كبيرة من عقيدة وتحليلها، ورفضها. ولكن حافظ هذا التحرر لديه ارتجاعه خاصته، بينما الرغبة بأن نحرر أنفسنا من معتقد يعود إلى سبب عدم تجانسه مع موضة العصر. أو تستطيعون التحرر من القومية لاعتقادكم بالشعبوية، أو لشعوركم بأنكم على المستوى الانفعالي ليس من الضرورة أن تكونوا متعلقين بمعتقد القومية الأحمق، مع علمه وسخافاتة الأخرى. تستطيعون رفضه بسهولة. أو تستطيعون التفاعل مع زعيم روحي أو سياسي يعدكم بالحرية كنتيجة لانضباط وثورة. ولكن هل العقلنة، أو استنتاج من هذا النوع لديهما شيء مشترك مع الحرية؟

إذا قلتم إنكم أحرار من شيء ما، فغالباً ما يتناول الأمر ارتجاعاً يصبح فيما بعد ارتجاعاً آخر يُنتج طريقة أخرى في التكيف وشكلاً آخر من السيطرة. وبهذه الطريقة قد يصبح لديكم سلسلة من الارتجاجات وقبول كل ارتجاع على أنه تحرر. ولكن هذا ليس تحرراً، وإنما فقط الاستمرارية المعدلة لماض متعلق به العقل.

شبيهة اليوم كما هم على الدوام، تثارون على المجتمع، وهذا في حد ذاته أمر جيد، ولكن الثورة ليست تحرراً، نظراً لكون الثورة في حد ذاتها عبارة عن ارتجاع، والارتجاع الذي يرسخ نموذجه الخاص حيث تعلقون به. تفكرون أن الأمر يتناول شيئاً جديداً، ولكن الأمر ليس كذلك، فالشيء هو هو لا يزال قديماً ولكنه موضوع في قالب مختلف. أي نوع من الثورة الاجتماعية أو السياسية سيتحول حتماً إلى عقلية بورجوازية وقديمة.

توجد الحرية فقط عندما ترون وتتصرفون، وليس إطلاقاً عن طريق الثورة. أن نرى يعني أن نتصرف، وهذا الفعل هام جداً مثل الفعل الذي يتغير عند رؤيتكم لخطر ما. إذن، ليس هناك نشاط

عقلي، وليس ثمة نقاش، ولا تردد، فالخطر نفسه يُجبر على الفعل.
وبناء عليه فإن نرى يعني أن نتصرف ونكون أحراراً.

الحرية هي حالة عقلية، وبالتالي ليست هي في التحرر من شيء ما، وإنما حالة من الحرية - حرية في القدرة على التشكك ووضع الأشياء كلها محل تساؤل، وبالتالي حرية قوية جداً، وفعالة ونشيطة، وتطرد كل صنف من الإدمان والأسر والتكيف والتقبل. وتقتضي هذه الحرية أن تكون وحيداً بشكل كامل. ولكن هل يستطيع العقل الذي خُلِقَ وسط ثقافة مفترضة، والذي تعلق بمقدار كبير بالوسط المحيط به، وبميوله خاصته، أن يكتشف تلك الحرية في أن يكون وحيداً كلياً حيث في وحدته ليس ثمة زعماء ولا موروث، ولا أي سلطة؟

الوحدة (أن تكون وحيداً) هي حالة عقلية داخلية، مستقلة عن أي منشط (معدّل للمزاج)، أو معرفة، كما أنها ليست نتيجة خبرة ما أو مال. أغلبيتنا لم نعيش الوحدة داخلياً. فثمة اختلاف بين العزلة، والانفصال، وبين أن تكون وحيداً. جميعنا يعلم ما يعنيه أن تكون منعزلاً - تشييد حاجز حولنا لكي لا نتعرض للإهانة، ولا نكون إطلاقاً معرضين للانجرار شعورياً، أو تعزيز اللامبالاة التي هي نوع آخر من الانقباض، أو العيش في برج عاجي مدهش مكون من الأيديولوجيا. فالوحدة مختلفة تماماً عن هذا كله.

إنكم لا تعيشون الوحدة إطلاقاً ذلك أنكم ممتلئون بالذاكرات وكل تدمرات الأمس، ولا يكون عقلكم حراً إطلاقاً من هذه الأمتعة العتيقة غير النافعة لشيء والتي راكمتوها. ولكي تبقوا وحيدين فعليكم أن تموتوا عن الماضي. وعندما تكونون وحيدين، وحيدين كلياً، ومن دون انتماء لأي أسرة، ولا أي قومية، ولا أي قطعة أرض بشكل

خاص، فتشعرون بإحساس بأن واحدكم غريب. والإنسان الذي هو على هذا الشكل يكون وحيداً وبريئاً، وهذه البراءة هي التي تحرر العقل من الألم.

نحمل على عاتقنا حمولة ما قاله من جملة ما قاله آلاف الأشخاص، وذكريات كل مصائبنا. والتخلي عن هذا كله كلياً يعني أن يكون المرء وحيداً، والعقل الذي يكون وحيداً لا يكون بريئاً فحسب، بل شاباً أيضاً - لا أقصد في الزمان أو في العمر، وإنما شبابي، ومُنقَى، وحي أياً كان العمر، و فقط هذا العقل يستطيع أن يرى ما هي الحقيقة، وذلك الذي تعجز الكلمات عن وصفه.

في هذه الوحدة، سوف نفهم الحاجة للعيش معكم على ما أنتم عليه، وليس كما تفكرون أنه يتوجب عليكم أن تكونوا أو كما كنتم. إنظروا فيما إذا كان بمقدوركم أن تنظروا إلى أنفسكم من دون أي زعر، ومن دون أي تواضع زائف، أو أي خوف، أو تكيف، أو إدانة، فلتحيوا مع أنفسكم كما أنتم بالفعل.

فقط عندما تحيون على نحو حتمي مع شيء ما تبدوون بفهم هذا الشيء. ولكنكم تعتادون ذلك الشيء، وعلى الفور تعتادون على قلقكم أو حسدكم أو أي شيء كان، فتفقدون لتوكم الحياة مع ذلك الشيء. مثلاً، إذا ذهبتم لكي تسكنوا بالقرب من نهر، مع مرور بضعة أسابيع فإنكم لن تصغوا بعد لصوت المياه، أو إذا كان عندكم لوحة في صالون المنزل، ومع رؤيتكم لها كل يوم، فبعد أسبوع لن تعيروها أدنى اهتمام. ويحصل الشيء نفسه فيما يتعلق بالجبال، والوديان، والأشجار. ويتكرر الأمر نفسه فيما يتعلق بالأبناء، والزوج، والزوجة. ولكن لكي تعيشوا مع أمر ما كالغيرة، والحسد، والقلق، فلا يجب عليكم إطلاقاً الاعتقاد عليهم من جهة ولا يجب عليكم تقبلهم

إطلاقاً من جهة أخرى. فما يجب فعله هو العناية بهم كما لو أنكم تعتنون بشجرة مفروسة مؤخراً، فتقومون بحمايتها من الشمس، ورداءات الطقس. وعليكم أن تسهروا عليها، فلا تقومون بإدانتها البتة، ولا تكييفها. وهكذا تبدأون بحبها. وعندما يكون عليكم رعايتها، فإنكم تبدأون لتوكم بحبها. وهذا يعني أن تحبوا الحسد أو القلق، كما لو أن أحداً يقوم بذلك لكم إلا أنه من الضرورة بمكان أن يكون عليكم أن تسهروا عليهم وأنتم ترصدون ذلك كله.

وهكذا، هل سيكون ممكناً، أنا وأنتم أن نعيش مع ما نحن عليه فعلياً، عالمين أننا حمقى، وحسودين، وجبناء، معتقدين بأننا نملك قدرة هائلة على الحنان في حين أننا لا نملكه، ونهان بسهولة، ونمدح ونضجر بسهولة، وسوف نستطيع العيش مع هذا كله من دون قبوله، ولا رفضه، وإنما رصده فقط، من دون جعل أنفسنا مُعتلّين ومكتئبين أو مغرورين؟

الآن، نوجه لأنفسنا سؤالاً إضافياً: هل تستطيع هذه الحرية وهذه الوحدة، وهذا المدخل أن يكونوا على اتصال مع البنية الكاملة لذلك الذي نحن إياه في داخل أنفسنا، وأن يتم بلوغه عن طريق الزمن؟ أي هل يمكن بلوغ الحرية بواسطة سياق تدريجي؟ لا يمكن، فالأمر من الواضح بمكان، لأن الزمن يتدخل مباشرة، وتصيرون مستعبدين كل مرة أكثر. لا أحد يستطيع تحرير نفسه تدريجياً. فهي ليست مسألة زمنية.

السؤال اللاحق هو التالي: هل تستطيعون جعل أنفسكم واعين لهذه الحرية؟ فإذا قلتم «أنا حر»، ففي هذه الحالة لن تكونوا متحررين. إنه الأمر نفسه، عندما تقولون: «أنا سعيد» فإنكم تحيون في ذكرى شيء من الماضي. فقط الحرية تستطيع المجيء بشكل

طبيعي، وليس من خلال الاعتقاد، أو الرغبة، والتلهّف إليها. وأيضاً لا يمكن لقاءها عن طريق خلق صورة عما تفكرون أن تكونوا. ولكي تلتقوا بها، فعلى العقل أن يتعلم النظر إلى الحياة، وهذه الحركة الواسعة ليست خاضعة للزمن، لأن الحرية تمكث في ما وراء الزمن.

الفصل التاسع

يفريني ترديد حكاية تلميذ كبير ذهب إلى الرب طالباً منه أن يعلمه الحقيقة. قال الرب «الفقير»: «صديقي، اليوم حار جداً، أرجوك، اذهب وأحضِر لي كوب ماء». خرج التلميذ وطرق باب أول بيت عثر عليه في طريقه، فالتقى هناك فتاة جميلة فتحت له الباب. أغرَمَ بها التلميذ، فتزوج الاثنان وأنجبا عدة أبناء. وذات يوم بدأ هطول الأمطار، وأمطر الجو من دون توقف، ففاضت الأنهار، وغُمِرَت الطرقات، وجُرِفَت البيوت بالمياه. تمسك التلميذ بامرأته، ووضع أبناءه على كتفيه، وعندما وجد نفسه مجروفاً بالسيل، صاح: «يا سيد، أتوسل إليك، خلصني!» أجاب السيد: «ماذا عن كوب الماء الذي طلبته منك؟».

إنها حكاية تعليمية للغاية، لأننا نفكر عموماً بمصطلحات الزمن. فالإنسان يعيش بالزمن. صار استتباط المستقبل لعبته المفضلة.

إننا نفكر بأن التغييرات في أنفسنا من الممكن تحقيقها فقط في الزمن، وبأنه يمكن ترسيخ النظام في أنفسنا فقط شيئاً فشيئاً، ويزداد يوماً فيوماً. ولكن الزمن لا يجلب النظام، ولا السلام. وبالتالي، علينا التخلّي عن التفكير بمصطلحات التدرّجية. وهذا يعني أنه لا يوجد غد سوف نعيش فيه بسلام، فكل ما علينا فعله هو بلوغ النظام حالاً.

عندما يمثل خطر حقيقي، يزول الزمن، أليس ذلك حقيقة؟ فالفعل فوري. ولكننا لا ندرك الخطر الموجود في الكثير من مشاكلنا،

وبالتالي، نبتدع الزمن كواسطة للتغلب عليها. الزمن مخادع لأنه لا يفعل شيئاً حياً مساعدتنا في إثارة تغيير داخل أنفسنا، فالزمن عبارة عن حركة جزأها الإنسان إلى ماضٍ، وحاضر، ومستقبل. وطالما أن الإنسان يقوم بهذه التجزئة، فسوف يظل يعيش في صراع.

هل يتعلق التعلم بالزمن؟ لم نتعلم حتى بعد آلاف من السنين، أنه توجد طريقة لحياة أفضل من أن تقوم على الكراهية وقتلنا بعضنا بعضاً. فمن الأهمية بمكان أن نفهم مسألة الزمن، هذا إذا رغبتنا حلاً لهذه الحياة التي أسهم كل واحد منا في جعلها بربرية ومن دون معنى على ما هي عليه.

إذاً أول شيء يجب فهمه هو أن نأخذ بعين الاعتبار قدرتنا على النظر إلى الزمن فقط بتلك الحيوية، وتلك البراءة للعقل. فنحن نرى أنفسنا مشوشين فيما يتعلق الأمر بمشاكلنا المتعددة، وتائهين وسط هذه الفوضى. والحال هذه، عندما يضيع شخص ما في غابة، فما هو أول شيء يفعله؟ إنه يتوقف وينظر حوالبه. ولكننا بقدر ما نرى أنفسنا مشوشين وتائهين أكثر في الحياة، فإننا نركض أكثر في كل الاتجاهات، ونحن نبحت، ونتساءل، ونتضرع. وأول شيء يجب فعله إذا ما سمحتم لي باقتراحه هو ألا تفعلوا شيئاً، وعندما تتوقفون، داخلياً ونفسياً يصبح عقلكم ساكناً وصافياً. حينئذ بوسعكم أن تتعقوا من مسألة الزمن.

توجد المشاكل فقط في الزمن، نعم، فهكذا هو الأمر حين نجد أنفسنا مع حدث على نحو غير مكتمل، فهذا اللقاء غير المكتمل مع الحدث هو الذي يخلق المشكلة. وعندما نواجه تحدياً على نحو جزئي، أو أننا نحاول الهروب منه. نعم، هكذا هو الأمر فإننا عندما نواجهه بانتباه غير كامل - فنحن نخلق مشكلة. وتظل المشكلة قائمة طالما أننا

نستمر بتوجيه انتباه غير كامل إليها، وطالما أننا ما زلنا نأمل أن نجد حلاً لها ذات يوم.

هل تعلمون ما هو الزمن- ليس الزمن المُقاس بالساعة، الزمن التسلسلي، وإنما الزمن النفسي؟ إنه الفاصل بين الفكرة والفعل. فالفكرة التي تهدف بشكل طبيعي إلى الإدراك الذاتي؛ هي فكرة الشعور بالأمان. الفعل فوري دائماً، وهو ليس من الماضي ولا هو من المستقبل، فالتحرك يجب أن يكون دائماً في الحاضر. ولكن الفعل خطير جداً، غير مؤكّد بشكل كبير، لدرجة أننا نفضلُ تكييف أنفسنا مع فكرة تتيح لنا شعوراً ما بالأمان.

انظروا إلى ذلك بأنفسكم. لديكم فكرة عما هو صحيح أو خاطئ، أو مفهوم إيديولوجي نسبي بالنسبة لكم وبالنسبة للمجتمع، وأنتم تتصرفون وفقاً لهذه الفكرة. وبالتالي، يتكيف الفعل مع تلك الفكرة، ويتقارب معها، ولهذا السبب هناك صراع دائماً. توجد الفكرة، والفاصل، والفعل. وفي هذا الفاصل يتم العثور على حقل الزمن كله. وهذا الفاصل هو عبارة عن فكرٍ بشكلٍ جوهري. وعندما تفكرون أنكم غداً ستكونون سعداء، فلديكم أنثذ صورة عن أنفسكم لكي تبلغوا نتيجة ما ضمنَ الزمن. يقول الفكر من خلال الملاحظة، والرغبة، واستمرارية هذه الرغبة: «غداً سوف أكون سعيداً، غداً سوف أكون ناجحاً، غداً سوف يكون العالم مكاناً جميلاً». وبهذه الطريقة، يخلق الفكر هذا الفاصل الذي هو الزمن.

نتساءل الآن: هل يمكن إيقاف الزمن؟ هل نستطيع أن نحيا على نحوٍ مكتمل لدرجة لا يكون فيها هناك غد لكي يفكرَ به الذهن؟ فالزمن هو المعاناة. نعم، فهكذا هو الأمر، البارحة أو ثمة ألف «بارحة»، أحببتهم، أو كان لديكم رفيق قد غادركم، فتدوم هذه الذاكرة، وتظلون تفكرون في

تلك اللذة أو ذلك الأثم، وتظلون تنظرون إلى الوراء، وترغبون، وتأملون، وتتوحدون، وعلى هذا النحو يجترُّ الفكر ذلك باستمرار، ويولد ذلك الشيء الذي يُدعى معاناة، ويعطي استمراراً للزمن.

طالما أنه يوجد هذا الفاصل الزمني المتوَّلد عن الفكر، فلا غنى عن وجود المعاناة، ولا غنى عن استمرار الخوف. وعلى هذا النحو، نسأل أنفسنا: هل يمكن لهذا الفاصل أن ينتهي؟ فإذا قلتم: «هل سينتهي ذات يوم؟» فهذا إذن عبارة عن فكرة، وعبارة عن أمر ترغبون بالتوصل إليه، وبالتالي لديكم فاصل، وتجدون أنفسكم مجدداً في الفخ نفسه.

فلنأخذ الآن مسألة الموت بعين الاعتبار. فهو مشكلة هائلة بالنسبة لمعظم الأشخاص. تعرفون الموت لأنكم ترونه كل الأيام، وهو يسير إلى جانبكم. هل سيكون ممكناً مواجهة الموت بشكلٍ مكتمل، وعلى نحوٍ لا نجعل منه مشكلة؟ ولكي نواجهه بهذه الطريقة، فإن كل المعتقدات، وكل الآمال، وكل المخاوف المتعلقة به يجب إنهاؤها، وإلا فإنكم سوف تواجهون هذا الأمر الخارق من خلال نتيجة، وصورة، وقلق موطَّد مسبقاً. وبناءً عليه، سوف تكون المواجهة في الزمن. فالزمن هو الفاصل بين الراصد والشيء المرصود. نعم، فالأمر هكذا، الراصد - أنتم - لديه خوف من مواجهة هذا الشيء المدعو «موتاً». وأنتم لا تعلمون ماذا يعني الموت، ولديكم آمال ونظريات من كل صنف فيما يتعلق به، فتعتقدون بالعود للتجسد (التقمص) أو بالقيامة، أو بشيءٍ ما يُدعى «روح»، «آتمان» (المبدأ الروحي بالهندوسية)، كينونة روحية ما أبدية، تلك التي تدعونها بأسماء مختلفة. والحال هذه، هل اكتشفتُم بأنفسكم فيما إذا كانت توجد روح ما؟ أم أن الأمر يتعلق بفكرة تم نقلها إليكم من خلال الموروث؟ هل يوجد شيء ما له ديمومة، واستمرارية تمتد إلى ما وراء الفكر؟ فإذا ما كان بمقدور الذهن أن يفكر فيه، فهذا الشيء سوف يجد

نقصه في حقل الفكر. وبناء عليه، ليس ممكناً أن يكون هذا الشيء دائماً، لأن كل ما هو في حقل الفكر ليس دائماً. إنها لأهمية كبرى أن نكتشف أنه ما من شيء دائم في حقل الفكر. إذك يتحرر العقل، وإذك فقط سوف يكون بمقدوره الرؤية، وفي ذلك ثمة فرح عظيم.

في الحقيقة أنتم لا تخافون من المجهول، لأنكم لا تعلمون ما هو، وبالتالي ليس هناك أي شيء يمكن أن نخشاه. فالموت ليس أكثر من كلمة، وهذه الكلمة والصورة التي ترافقها هما اللتان تخلقان الخوف. ولكن هل تستطيعون النظر إلى الموت من دون صورة عن الموت؟ طالما توجد الصورة التي تعطي أصلاً للفكر، فهذا بدوره سوف يخلق الخوف دوماً. تعملون إذن على عقلنة خوفكم من الموت، وعلى النهوض بمقاومة ضد ما لا يمكن تجنبه، أو تبدعون عدداً غير محدود من المعتقدات لكي تحميكم من الخوف من الموت. ثمة إذن فراغ بينكم وبين الشيء الذي تخافونه. ففي هذا الفاصل من الفراغ - الزمن يتولّد صراع أو لنقل خوفاً، وقلقاً وشفقة على الذات. فالفكر الذي يولّد الخوف من الموت يقول: «تؤجل الموت، وتجنبه، ونبقيه بعيداً عنا على قدر ما نستطيع، فلا نفكر به». ولكنكم تفكرون به، عندما تقولون: «لا أريد التفكير به»، فأنتم تفكرون به بطريقة تتجنبونه فيها. وبالتالي فما زال خوفكم من الموت قائماً طالما أنكم تؤجلونه.

إننا نفصل العيش عن الموت، والخوف هو الفاصل بين أن نعيش وبين أن نموت. والخوف هو نفسه الذي يخلق هذا الفاصل، هذا الزمن. ويصبح العيش عذاباً يومياً من إهانات، وآلام، وخزي، وعلى نحو عرّضي يصبح نافذة مفتوحة تُظهر لنا بحاراً ساحرة. ولكن ذلك الفاصل، ذلك الزمن هو الذي نسميه «عيشاً»، وبالتالي لدينا خوف من الموت الذي هو نهاية لهذا الغم. نُفضّل التشبث بالمعلوم على أن نواجه

المجهول - فالمعلوم يتكون من مجموع ما نعرفه: منزلنا، وأثاثنا، وعائلتنا، وطبعمنا، وعملنا، ومعارفنا، وشهرتنا، ووحدتنا، وآلهتنا - وهذا الشيء (أي المعلوم) اللامعنى له هو الذي يجذب نحو ذاته ضمن كم من المراترة الوجودية.

نظن أن «العيش» كائن في الحاضر دومًا، وأن الموت هو أمر ينتظرنا في زمن بعيد. ولكننا لم نتساءل إطلاقًا فيما إذا كان معترك الحياة اليومية هو في الواقع «أن نعيش». نريد أن نعرف الحقيقة فيما يتعلق بالعود للتجسد (التقمص)، ونرغب بالبراهين على خلود الروح، ونعير إصغافنا إلى إثباتات الرائن، وإلى نتائج البحوث النفسية. ومع ذلك لم نتساءل أبدًا كيف نحيا - أن نحيا بمتعة، ودهشة، وجمال في أيامنا كلها. ولكننا نقبل بالحياة على ما هي عليه، مع نزاعاتها كلها، ويأسها، ونعتاد عليها، ونفكر بالموت كما لو كان أمرًا يتوجب علينا تجنبه بكذ. ولكن الموت يتماثل على نحو غريب مع الحياة نفسها. في الحقيقة إنكم لا تستطيعون أن تحيوا فعليًا من دون أن تموتوا. وهذه ليست مفارقة فكرية. فلكي تحيوا بشكل كامل كليًا، بطريقة يكون فيها كل يوم جمالًا جديدًا، نعم، علينا أن نموت عن أمور البارحة، وإلا سوف نعيش بشكل آلي (على نحو ميكانيكي)، والعقل الذي يعمل آليًا لن يدرك أبدًا ما هو الحب أو ما هي الحرية.

نخشى الموت عمومًا، لأننا لا نعرف ماذا يعني أن نحيا. إننا لا نعرف كيف نموت، ولذلك لا نعرف كيف نحيا. وطالما لا زال لدينا خوف من الموت، فسيظل لدينا خوف من الحياة. والشخص الذي لا يخشى الحياة لن يخاف من الشعور بعدم الأمان، لأنه يفهم داخليًا ونفسيًا أنه لا وجود للشعور بالأمان إطلاقًا. وعندما لا يوجد شعور بالأمان، فثمة حركة لا نهائية، وإذاك فالحياة والموت هما الأمر نفسه. والشخص الذي

يعيش من دون صراع، والذي يحيا مع الجمال والحب، إنه شخص لا يخشى الموت لأنه بالنسبة له «أن يحب» هو «أن يموت».

إذا ما متّم عن كل شيء تعلّمونه، بما في ذلك عائلتكم، وذاكراتكم، وكل ما أحسستّم به. فالموت إذاك ليس أكثر من تطهير داخلي، ومن سياق لتجدد الشباب، فيجلب الموت أنثذ البراءة. والأبرياء فقط هم شغوفون، وليسوا هم أولئك الذين يعتقدون ويرغبون باكتشاف ما يحدث بعد الموت.

لكي تكتشفوا ما يحدث فعلاً بعد الموت، عليكم أن تموتوا. هذه ليست دعاية. نعم، عليكم أن تموتوا، ولكن ليس جسمانياً، وإنما نفسانياً، داخلياً. وبمعنى آخر أن تموتوا عن الأشياء الغالية بالنسبة إليكم، وأيضاً عن الأشياء التي تسبب لكم الشعور بالمرارة. فإذا متّم عن كل واحدة من مملذاتكم سواء تلك التي لا معنى لها، أو تلك الأكثر أهمية، من دون أي إكراه أو حوار معها، فإذاك سوف تدركون ما يعنيه الموت. فالموت يعني أن نتمتع بعقلٍ خالٍ من ذاته نفسها، خالٍ من رغباته اليومية، ومملذاته، ونزاعاته. إذن، فالموت هو تجدّد وتحولٌ حيث لا يعمل الفكر لأن الفكر ببساطة هو شيء عتيق. بينما حين يوجد الموت يتواجد وقتذاك شيء جديد كلياً. فأن تكونوا أحراراً من المعلوم هو أن تموتوا، وإذاك تكونون أحياء.

الفصل العاشر

تولّد الحاجة للشعور بالأمان الألم والخوف في العلاقات على نحو لا يمكن تجنبه. وهذا المسعى للشعور بالأمان يجذب الشعور بعدم الأمان. أو هل عثرتم على شعور ما بالأمان في إحدى علاقاتكم؟ يبني معظمنا الشعور بالأمان في الحب من خلال كونه محبوباً. ولكن هل من الممكن أن يوجد حب عندما يكون كل واحد في مسعى نحو شعوره بالأمان، ومن خلال طريقه خاصته؟ نحن لسنا محبوبين لأننا لا نعرف الحب.

ما هو الحب؟ لقد تمّ تحميل هذه الكلمة فوق طاقتها كثيراً، وتمّ إفسادها أيضاً إلى درجة أنه ليس لديّ بعد الرغبة في استخدامها. يتحدث الجميع عن الحب - كل مجلة وصحيفة وكل واعظ يتكلّم عن الحب مطوّلاً ومن دون نهاية. أحبّ وطني، وأحبّ ملكي، وأحبّ كتاباً ما، وأحبّ ذلك الجبل، وأحبّ تلك اللذة، وأحبّ زوجتي، وأحبّ الله. لعلّ الحب عبارة عن فكرة ما؟! فإذا كان الأمر كذلك، فمن الممكن إذاك الانقلاب عليه، وتغذيته، والمحافظة عليه بمودة، مقولباً، ومشوّهاً بكل الطرق الممكنة. عندما تقولون إنكم تحبون الله، فماذا يعني ذلك؟ يعني أنكم تحبون إسقاطات خيالكم خاصتكم، إسقاطاتكم أنتم أنفسكم، وقد تمّ إلباسها ببضعة أشكال من الإجلال وفقاً لما تظنونونه نبيلاً ومقدّساً. أما عن القول: «أحبب إلهك» فهذا قول

مناقض تماماً للحسّ السليم. وعندما تعبدون الله، فإنكم تعبدون
ذواتكم أنتم، وهذا ليس بالحبّ.

عاجزون عن إدراك هذا الشيء الإنساني الذي يدعى «حباً» فإننا
نهرب نحو التجريدات. قد يكون الحبُّ هو الحلُّ النهائي لمشاكلنا كلّها،
مشاكل وغموم إنسانية. والحال هذه، كيف سيكون بمقدورنا أن نكتشف
ما هو الحبُّ؟ هل سيكون ذلك من خلال تعريف بسيط؟ تعرّفه الكنيسة
بطريقة، ويعرّفه المجتمع تعريفاً آخر، وثمة أيضاً ضلالات وشدوذات من
كل نوع. كعبادة شخص ما، والحبُّ الجسدي، وتبادل الانفعالات،
والصحة - هل هذا كلّ ما يفهم عن الحبُّ؟ كانت هذه دائماً هي
القاعدة، النموذج الذي أصبح شخصياً جداً، وشهوانياً، ومحدوداً إلى
درجة أن الديانات تصرّح بأن الحبُّ هو أكثر من ذلك بكثير. فضمن ما
يسمونه «حباً إنسانياً» نرى خلفه البحث عن اللذة، والتنافس، والغيرة،
والرغبة بامتلاك الآخر والمحافظة والسيطرة عليه، والتأثير في تفكير
الآخرين، وبإدراك تعقيدات هذه الأمور تقول الأديان إنه من ضروري أن
يوجد نوع آخر من الحبِّ - إلهي وجميل وظاهر ونزيه.

يوجد في العالم كلّه بعض الرجال الذين يدعون «قديسين»
يشددون دائماً على أن النظر إلى امرأة معصية، ويقولون إننا لا نستطيع
التقرب من الله إذا لم نزهّد بالجنس، وبالتالي فهم ينكرونه، ناهيكم عن
أنهم هم أنفسهم يرون ذاتهم مفترسين من قبل الجنس نفسه. ولكن
هؤلاء الرجال بإنكارهم للجنس، فهم يقتلعون عيونهم خاصتهم،
ويقطعون لسانهم بناءً على إنكارهم كلّ جمالية الأرض. فجعلوا قلوبهم
وعقولهم جائعة. إنهم كائنات إنسانية «مجفّقة»، نفوا الجمال لأن
الجمال مرتبط بالمرأة.

هل يمكن تقسيم الحبِّ إلى مقدس ودنيوي، إنساني وإلهي، أم

يوجد حبٌ لواحد فقط وليس لكثيرين؟ وإذا قلتَ «أحبك» فهل يعني هذا أنني أستثني الآخر من هذا الحب؟ هل الحبُ شخصي أم لا شخصي؟ أخلاقي أم لا أخلاقي؟ عائلي أم غير عائلي؟ إذا ما أحببتم الإنسانية، فهل بوسعكم أن تحبوا الفرد؟ هل الحبُ شعور؟ انفعال؟ هل الحبُ لذة ورغبة؟ تشير هذه الأسئلة كلها إلى أنه لدينا أفكار فيما يتعلق بالحب، وأفكار حول ما يجب أو لا يجب أن يكون، نموذج وقانون خلقتة الثقافة التي نعيش في كنفها. أليس ذلك حقيقة؟

وهكذا لكي نفحص مسألة الحب - ما هو الحب - يتوجب علينا أولاً أن نحرر أنفسنا من ترسُّبات القرون، وإخراج الأفكار كلها والأيدولوجيات حول ما يجب وما لا يجب أن يكون. إن تقسيم أي شيء فيما يتوجب أن يكون عليه، وفيما هو عليه، هو الطريقة الأكثر إيهاماً في مواجهة الحياة.

والحال هذه، كيف سنعرف ما هي هذه الشعلة التي نسميها حباً - ولا أقصد طريقة التعبير عنه للأخرين، وإنما هو نفسه ماذا يعني؟ في المرتبة الأولى، سأرفض كل ما تقوله الكنيسة حول الحب، والمجتمع، ووالدي، وأصدقائي، والأشخاص جميعهم، والكتب كلها، لأنني أرغب أن أكتشف بنفسي ما هو الحب. ثمّة هاهنا مشكلة هائلة تهتم الإنسانية كلها. وثمة آلاف الطرق لتعريفه، وأنا نفسي أرى الكلّ متورطاً في هذا أو ذلك النموذج المقولَّب وفقاً للشيء الذي يمنحني الاستذواق أو الشعور باللذة. وبالتالي، فمن أجل فهم الحب، أولاً يجب عليّ في الدرجة الأولى أن أحرر نفسي من ميولي وأفكاري المسبقة؟ أراني مشوشاً، وممزقاً من خلال رغباتي، وعلى هذا النحو، أقول فيما بين نفسي: «أزل أولاً تشوشك. لربما تتوفّر لديك إمكانية اكتشاف ما هو الحب من خلال ما ليس هو الحب.»

تأمر الحكومة مثلاً: «اذهَبْ واقتل حباً بالوطن!» هل ذلك حب؟
ويوصي الدين بما يلي: «دع الجنس جانباً من أجل الله» فهل هذا حب؟
هل الحب رغبة؟ لا تجيبوا بالنفي. بالنسبة لمعظمنا هو رغبة مصحوبة
بالشعور باللذة، لذة صادرة عن الحواس، وعن التعلق، وعن الشعور
بالإشباع الجنسي. لست ضد الجنس، وإنما أنظر إلى ما يتضمنه. فما
يمنحك إياه الجنس لحظياً هو نسيان أنفسكم كلياً، ولكنكم فيما بعد،
تعودون إلى هيجانكم، وبالتالي ترغبون باستمرار تكرار هذه الحالة
الخالية من القلق، والمشكلة، و«الأنا». تقولون إنكم تحبون زوجتكم،
ويكون متضمن في هذا الحب اللذة الجنسية، والشعور باللذة في أن يكون
لديكم شخص في المنزل من أجل العناية بالأبناء ومن أجل أن تطبخ لكم
الطعام. فتتعلقون بها، وهي تمنحكم جسدها، وانفعالاتها، وحوافزها،
وشعوراً ما بالأمان، وبالهناء. وذات يوم تغادركم. فقد تضجر منكم أو
تهرب مع رجل آخر، وههنا يتحطم توازنكم الانفعالي كله، وتشعرون
بذلك الانزعاج الذي لا تحبونه. ويدعى بالفيرة، ويوجد فيها الألم،
والقلق، والبغضاء، والعنف. وبالتالي، فما تقولونه فعلاً هو: «لطالما أنك
تتتمين إلي، فأنا أحبك، ولكن حالما تتخلين عن الانتماء إلي، فإنني أبدأ
بكراهيتك. ولطالما أنني أستطيع معك تحقيق حاجاتي الاجتماعية،
وحاجاتي الأخرى، فأنا أحبك، ولكنك حالما تتخلين عن تلبية حاجاتي،
فأنا لن أحبك بعد». ثمّة إذن، تتأقّض فيما بينكما، وثمرّة انفصال،
وعندما تشعران بانفصال واحدكما عن الآخر، فلن يكون هناك حب.
ولكن إذا ما استطعتم أن تعيشوا مع زوجتكم من دون أن يخلق الفكر
هذه الحالات المتناقضة كلها، وهذه الخصومات غير المنتهية داخل
ذواتكم، فلربما إذّاك - ستعرفون ما هو الحب. وستكونون وقتذاك
أحراراً بشكل كامل. ويجب الانتباه إلى أن زوجتكم بقدر ما تتعلق

بملذاتكم فلسوف تكون أسيرة لكم. إذًا عندما يحب شخص ما، فمن
الضرورة بمكان أن توجد الحرية - على الشخص أن يكون حرًا، ليس
فقط من الشخص الآخر، بل من ذاته نفسها .

في حالة الانتماء للآخر، ويكونك تتغذى نفسيًا من خلاله، فإنك
تتعلق به - ويوجد دائماً في كل هذا بالضرورة القلق، والخوف، والغيرة،
والشعور بالذنب. ولطالما أنه يوجد خوف فلن يكون هناك حب. العقل
الذي يجد نفسه بين أنياب العذاب لن يعرف الحب إطلاقاً، لا
الشاعرية، ولا الانفعالية، ولا شيء بالإطلاق له علاقة بالحب. وبالتالي،
ليس هناك شيء مشترك بين الحب والشعور باللذة والرغبة .

ليس الحب نتاجاً للفكر، فهذا الأخير هو الماضي. ليس بإمكان
الفكر بحال من الأحوال أن يفرس الحب. لا يدع الحب نفسه يُحاط أو
يقع في شبكة الغيرة، لأن الغيرة تأتي من الماضي. والحب هو الحاضر
الفعال دائماً. ليس هو «سأحب» أو «أحببت». فإذا ما أدركتم الحب، فلن
تتبعوا أحداً. لا ينصاع الحب لأحد. وعندما تحبون فلن يكون هناك
احترام أو عدم احترام.

إنكم لا تعرفون ما يعني أن تحبوا أحداً ما - أن تحبوا من دون
بغضاء، ومن دون غيرة، ومن دون غضب، ومن دون أن تسعوا للتدخل في
ما يعمل أو يفكر الآخر، ومن دون إدانة، ومن دون مقارنة - ألا تدركون
ما يعني هذا كله؟ أو هل هنالك حب عندما تُجري مقارنة أنفسنا مع
الآخر؟ هل بوسع مقارنة أنفسكم مع الآخر أن توجد عندما تحبون أحداً
من كل قلبكم، ومن كل عقلكم، ومن كل جسدكم، ومن كل كينونتكم؟
والحق يُقال، إنكم عندما تستسلمون بشكل كامل إلى هذا الحب، فلن
يوجد هناك بعد ما يمكن أن ندعوه به الآخر.

هل لدى الحب مسؤوليات وواجبات، أو لعله يستخدم كلمات

كهذه؟ ولكن دعونا نضع النقاط على الحروف، أولعلكم عندما تقومون بشيء ما من أجل الواجب، أو هل يوجد في ذلك حب؟ ففي الواجب لا يوجد حب. إن بنية الواجب حيث يجد الكائن الإنساني نفسه محبوساً فيها فهي تدمره في الواقع. ولطالما أنكم مُجبرون على القيام بأمر ما لأن واجبكم يقتضي أن تقوموا به، ففي حقيقة الأمر أنتم لا تحبون ما تقومون به. وعندما يوجد حب، لن يكون هناك لا واجباً ولا مسؤولية.

يفكر معظم الأهالي للأسف بأنهم مسؤولون عن أبنائهم، ويتخذ إحساسهم بالمسؤولية منحى توصيتهم لأبنائهم ما يجب عليهم القيام به، وما لا يجب أن يفعلوه، وما يجب أن يكونوا عليه، وما لا يجب أن يكونوا عليه. فهم يريدون لأبنائهم أن يحرزوا مركزاً لائقاً في المجتمع. ويشكل ذلك الذي يسمونه مسؤولية جزءاً من ذلك الوقار الذي يعملون على تغذيته. وما يبدو بالنسبة لي أنه حيث يوجد وقار فليس هناك قانون، وإنما كل ما يهمهم هو أن يصيروا بوجوازيين كاملين. وتهيئة الأبناء من أجل أن يتكيفوا مع المجتمع، فإنهم في واقع الأمر يُديمون الحرب، والصراعات والوحشية. أو هل بوسعنا أن نسمي ذلك حرصاً وحباً؟

يكمن الحرص فعلياً في الاعتناء كما يُعتنى بشجرة أو بشتلة، فيتم سقايتها، وتُدرس حاجاتها، ويتم اختيار التربة الأكثر ملاءمة، ويتم العناية بها بلطف ورقة. ولكنكم عندما تهيئون أبناءكم لكي يتكيفوا مع المجتمع، فإنتم في واقع الأمر تهيئونهم لكي يصيروا أمواتاً. فلو أنكم أحببتم أبناءكم لما تواجدت حروب بعد.

وعندما تفقدون أحداً ما تحبونه فإنكم تذرّفون عليه الدموع، وهل هذه الدموع هي من أجلكم أنتم أم من أجل المائت؟ إنكم تتحسرون على أنفسكم أم على الآخر؟ هل سبق وبكيتم من أجل آخرين؟ هل سبق وبكيتم ابنكم الذي استشهد في حقل المعركة؟ بكيتم بالتأكيد، ولكن

دموعكم هذه كانت نتاجاً للشفقة على الذات أم أنكم بكيتم لأن كائننا إنسانياً قد توفى؟ فإذا ما بكيتم من أجل الشفقة على الذات، فدموعكم لن تعني شيئاً، لأنكم في الواقع لستم مهتمين إلا بأنفسكم. وإذا بكيتم لأنه تم انتزاع شخصاً حيث «أودعتم» الكثير من العطف، فهذا ليس عطفاً حقيقياً. وإذا بكيتم أخاكم الذي مات، أو هل تبكون من أجله هو؟ إنه ليس سهلاً جداً أن تبكوا من أجل أنفسكم لأنه غادركم. أنتم تبكون ظاهرياً لأن قلبكم قد تم مسه، ولكنه لم يمس بسببه هو، وإنما بسبب الشفقة على الذات، والشفقة على الذات تجعلكم أكثر قسوة وأكثر انغلاقاً، وتجعلكم واهنين وحمقى.

أو هل هذا حب أن تبكوا من أجل أنفسكم؟ أن تبكوا لأنكم أضحيتم وحيدين، ولأنكم فقدتم قدرتكم، وتشتكون من نصيبكم في الحزن، ومن الوسط المحيط بكم - وتذرفون دائماً الدموع. وإذا فهِمْتُم هذا الواقع، وهذا يعني أن تضعوا أنفسكم في تماسٍ معه على نحو مباشر جداً مثلما هو الأمر عندما تلمسون شجرة أو عموداً أو يداً، فسترون إذاك أن الألم هو نتاج «الأنا»، وأن الألم تم خلقه من قبل الفكر، وأن الألم هو نتاج الزمن. منذ ثلاث سنوات كان أخي لا يزال على قيد الحياة، واليوم ها هو ميت، وأنا وحيد متأسف، وليس لدي بعد من التجرى إليه لكي أنشد التعزية أو الرفقة، وهذا الأمر يجعل عيني تدمعان.

بوسعكم أن تروا ذلك كله يحدث في داخلكم، هذا إذا ما قمتم برصده. وبوسعكم أن تروه على نحو تام، وكامل، وفي نظرة خاطفة، ومن دون أن تحتاجوا للزمن التحليلي. وبوسعكم أن تروا في لحظة البنية كلها وطبيعة ذلك الشيء الذي لا قيمة له ولا معنى له، والذي يدعى «أنا» - دموعي، وعائلتي، وأمتي، وعقيدتي، وديني - فهذه السماجة كلها كائنة

في هذا «الأنا». وعندما تتظرون بقلوبكم، وليس من خلال عقولكم، وعندما تتظرون من عمق قلوبكم، فلسوف تمتلكون إذاك المفتاح الذي ينهي المكم.

لا يمكن للألم والحب أن يجتمعا، ولكنهم في العالم المسيحي يجعلون الألم مثالا لهم، ويصلبون أنفسهم كي يعبدوا الألم، الأمر الذي يؤدي للفهم بأنه ما من أحد يستطيع الإفلات من الألم إلا إذا كان من خلال ذلك الباب الوحيد، أي الألم، فكذلك هي بنية المؤسسة الدينية الاستغلالية.

هكذا، عندما تتساءلون ما هو الحب، فقد تخشون كثيرا من الإجابة. وقد تعني انقلابا كاملا في الموقف، الأمر الذي قد يجعل عقد العائلة ينفرط، ويجعلكم تكتشفون بأنكم لا تحبون زوجتكم أو زوجكم أو أبناءكم (أو أهلكم تحبونهم؟)، قد يكون عليكم هدم المنزل الذي بنيتموه، وقد لا ترجعون بعد إطلاقا إلى المعبد.

لكنكم إذا كنتم ترغبون أن تستمروا بالاكتشاف فسترون أن الخوف ليس حبا، وأن التعلق ليس حبا، وأن الغيرة ليست حبا، وأن الملكية والهيمنة ليستا حبا، وأن المسؤولية والواجب ليسا حبا، وأن الشفقة على الذات ليست حبا، وأن الكرب لعدم كونك محبوبا ليس حبا، وأن الحب ليس هو نقيض الكراهية كما أن التواضع أيضا ليس هو نقيض الفرور. وهكذا، إذا أصبحتم قادرين على إلغاء ذلك كله، ليس بالقوة، وإنما أخذه على هذا النحو مثل حبات المطر التي تغسل غبار أيام كثيرة متراكمة على ورقة شجرة، فإذاك لربما سوف تجدون تلك الوردة النادرة التي ما برح يبحث عنها الإنسان بتشوق.

إذا لم تشعروا بالحب - ليس في قطرات صغيرة، وإنما بوفرة، وإذا لم تفيضوا بالحب، فالعالم ذاهب نحو الكارثة لا محالة. تدركون

فكرياً بأن الوحدة الإنسانية هي الشيء الجوهرى، وبأن الحب يشكّل الطريق الوحيد إليها، ولكن من هو ذلك الذي يستطيع أن يعلمكم ما هو الحب؟ أو لعله يكون تلك السلطة، أو ذلك المنهج، أو ذلك النظام يعلمكم ما هو الحب؟ وإذا حاول أحد ما أن يعلمكم إياه، فهذا ليس بالحب. وقد تقولون: «هل سوف أتدرب على الحب». فأجلس الأيام كلها من أجل التأمل فيه. وأتدرب من أجل أن أصبح طيباً ولطيفاً، وأجبر نفسي على أن أصير مهتماً بالآخرين؟

هل تظنون أنكم تستطيعون أن تتلمذوا أنفسكم لأجل الحب، وأنكم تستطيعون ممارسة الإرادة لأجل الحب؟ وأنتم عندما تمارسون الإرادة والانضباط لأجل الحب، فالحب يهرب منكم عبر النافذة. وبممارسة منهج ما أو قانون حب، فقد تصبحون أكثر حذاقة، أو أكثر طيبة، أو تدخلون في حالة من اللاعنف. ولكن لا شيء من ذلك كله يمت بصلة إلى الحب.

ليس ثمّة حب في هذا العالم المجزأ جداً، والجاف لأنه يمنح كلاً من اللذة والرغبة الأهمية العظمى. ولكن من دون حب، تكون حياتكم اليومية من دون معنى. وأيضاً لن تستطيعوا الشعور بالحب إذا لم تشعروا بالجمال. فليس الجمال شيئاً تنظرون إليه - فهو ليس شجرة جميلة، وغرفة جميلة، وبناء جميل، وامرأة جميلة، فثمّة جمال فقط عندما يدرك قلبكم وعقلكم ما هو الحب. فمن دون الحب، وذلك الإدراك للجمال، ليس ثمّة فضيلة، وتدركون جيداً جداً كل ما تقومون به - تحسين المجتمع، وتزويد الفقراء بالغذاء - فقط يؤدي ذلك كله إلى إيذاء أكثر لأنه عندما لا يكون هناك حب، فما يتواجد فقط هو البشاعة والفقير في قلوبكم وفي عقولكم. ولكن عندما يكون هناك حب وجمال، فإن كل ما تقومون به يكون سليماً، وكل ما تقومون به يكون نظاماً

أيضاً . وإذا كنتم تدركون كيف تحبون فبوسعكم أن تفعلوا ما ترغبون به لأن الحب سوف يحل من تلقاء ذاته المشاكل الأخرى كلها .

وعلى هذا النحو، نبلغ هذه النقطة: سوف يكون بإمكان العقل العثور على الحب من دون الحاجة للتدرب، وللفكر، وللإجبار، ولأي كتاب، ولعلم أو مرشد - أولعلمكم تعثرون عليه كما لو أنكم تلاقون غروباً جميلاً للشمس؟

يبدو لي شيء ما ضرورياً على نحو مطلق: الشغف من دون سبب، وليس الشغف الناجم عن التزام أو تكيف، فالشغف هنا ليس شهوانياً . والإنسان الذي لا يعلم ما هو الشغف، لن يدرك الحب أبداً، لأن الحب يمكنه فقط أن يوجد عندما يتجرد الشخص كلياً من ذاته نفسها .

العقل الذي يبحث ليس عقلاً مفهماً، فعدم البحث عن الحب هو الطريقة الوحيدة للعثور عليه، والعثور عليه يكون على نحو غير متوقع، وليس كنتيجة لأي جهد أو تجربة . وهذا الحب كما سترون ليس هو من الزمن، ويقدر ما هو شخصي، فكذلك هو أيضاً لا شخصي، ويقدر ما هو منفرد فكذلك هو أيضاً حشد . ومثل وردة عطرة بإمكانكم أن تستنشقوا عبيرها، أو تجتازونه من دون أن تلاحظوه . تلك الوردة هي للجميع ولذلك هناك من ينحني لكي يشمها بعمق وينظر إليها بمتعة . وسواء كنا قريبين جداً منها، في الحديقة، أو سواء كنا بعيدين جداً فهذا كله سواء بالنسبة للوردة، لأنها ممتلئة بعطرها ومهيأة للتشارك به مع الجميع .

الحب أمر جديد، وطازج، وحي . ليس لديه أمس ولا غد . فهو أبعد من تشويش الفكر . العقل البريء فقط يدرك ما هو الحب، والعقل البريء يستطيع أن يحيا في عالم ليس بريئاً . ممكن فقط ملاقاته، فهذا

الشيء الرائع الذي يبحث عنه الإنسان دائماً بلهفة من خلال الأضاحي، والعبادة، والعلاقات، والجنس، وكل نوع من اللذة والألم، من الممكن فقط ملاقاته حينما يبلغ الفكر إدراك ذاته نفسها فينتهي بشكل تلقائي. والحب لا نقيض له، ولا صراع فيه.

بوسعكم أن تسألوا: «إذا ما عثرت على هذا الحب فكيف سيكون الأمر بالنسبة لزوجتي وعائلتي؟ فهم يحتاجون للأمان» وأن تطرحوا هذا السؤال، فأنتم تُظهرون بأنكم لم تكونوا إطلاقاً خارج حقل الفكر، ولا خارج حقل وعيكم. وذات مرة عندما تتواجدون خارج هذا الحقل، فإنكم لن تقوموا بسؤال كهذا، لأنكم سوف تدركون ما هو الحب حيث لا يوجد فكر، وبالتالي ما من وجود للزمن. وقد تقرؤون هذا كله وأنتم منؤمنون مغناطيسياً ومفتونون به، ولكن أن تتجاوزوا فعلاً الفكر والزمن - الأمر الذي يعني تجاوز الألم - يعني أن تكونوا واعين لمستوى مختلف يُدعى «الحب».

لكنكم لا تدركون كيف تصلون إلى هذا الينبوع الرائع - والحال هذه، فماذا تفعلون؟ عندما لا تعرفون ما العمل، فإنكم لا تقومون بأي شيء، أوليس ذلك حقيقة؟ لا شيء على الإطلاق. وإذاك تكونون داخلياً بالكامل في صمت. هل تفهمون ما يعني هذا؟ يعني أنكم لن تبحثوا، ولن ترغبوا، ولن تلاحقوا أمراً، ولن يوجد أي مركز، وإذاك يتواجد الحب.

الفصل الحادي عشر

لقد انتهينا لتونا من تفحص طبيعة الحب وبلغنا، على ما أظن، نقطة تقتضي نفاذاً أعظم، وإدراكاً أعظم. واكتشفنا أنه بالنسبة للأغلبية فالحب يعني الراحة، والشعور بالأمان، وضماناً لإشباع انفعالي يستمر حتى بقية العمر. يصل إذاك شخص مثلي، ويقول: «هل هذا حب بالفعل؟» يعارضكم، ويمنع عنكم أن تتظروا إلى داخل ذواتكم. فتسعون إلى عدم النظر، لأن هذا باعث على التشويش جداً، ولعل من الأفضل أن نتناقش حول الروح، أو الوضع السياسي أو الاقتصادي. ولكن عندما ترون أنفسكم ساندين ظهركم على ركن، ومجبرين على النظر، تدركون أن هذا ما فكرتكم به دائماً على أنه حب ليس هو إياه، فهو ليس حباً بأي شكل من الأشكال، إنه إشباع واستغلال متبادلان.

وعندما أقول: «الحب ليس له غد ولا بارحة»، أو «الأ يوجد أي مركز فإذاك يكون هناك حب»، وهذا واقع بالنسبة لي، ولكن ليس بالنسبة لكم. تستطيعون ذكره، وتحويله إلى صيغة، ولكن من دون أي استحقاق. عليكم أنتم أن تروا الواقع من خلال ذواتكم، ولذلك، تحتاجون للتحرر لكي تتظروا، تحتاجون أن تكونوا أحراراً من كل إدانة، ومن كل حكم، ومن كل موافقة أو اختلاف.

والحال هذه، فالنظر هو واحد من الأشياء الأكثر صعوبة في الحياة - أو الإصغاء - فالنظر والإصغاء هما الشيء نفسه. وإذا كانت

عيونكم مهووسة باضطرابكم، فلن تستطيعوا رؤية جمال غروب الشمس. معظمنا قد فقد الاتصال بالطبيعة. والحضارة تميل جداً لبناء المدن الضخمة، وتملك فضاءً قليلاً جداً حتى لرؤية سماء الظهيرة والصبح، وبناء عليه، فإننا نفقد الاتصال بالطبيعة. لا أعلم إذا لاحظتم كم هم قلة في ما بيننا أولئك الذين ينظرون الشروق أو الغروب أو ضياء القمر أو انعكاسات النور على صفحة المياه.

وبما أننا فقدنا الاتصال بالطبيعة، فإننا نميل بشكل طبيعي إلى تنمية القدرات الفكرية. فنقرأ عدداً كبيراً من الكتب، ونتردد على متاحف كثيرة ودور أوبرا، ونشاهد التلفاز، ولدينا الكثير من وسائل تسالٍ أخرى. ونذكر أفكار الآخرين على نحو لا ينتهي، ونفكر كثيراً، ونتحدث حول الفن. ولأجل أي سبب نتعلق كثيراً بالفن؟ هل لأنه عبارة عن شكل من أشكال الهروب، وتعديل المزاج؟ فإذا كنتم على اتصال مباشر بالطبيعة، فإذا رصدتم حركة طير عند طيرانه، وإذا رأيتم جمالية كل حركة للسحاب، وإذا رصدتم الظلال في الجبال أو الجمال المتجلي على وجه شخص آخر، أو تعتقدون أنه سيكون لديكم رغبة في الذهاب إلى متحف لكي تروا لوحات فنية؟ ربما لأنكم لا تعرفون كيف تنظرون إلى كل الأشياء التي تحيط بكم، وربما من أجل ذلك تتراكمون إلى مخدر ما من أجل تعديل مزاجكم كي تنظروا بشكل أفضل للأشياء عما قبل.

تُحكى قصة حول معلم روحاني كان يحادث تلاميذه كل الصباحات. وذات صباح، صعد إلى المنبر، وبالضبط في اللحظة نفسها عندما كان على وشك الكلام، حطَّ عصفور صغير على متكأ نافذة، وأخذ يفرد ويصدح بكل ما أوتي من قوة. فيما بعد سكت ثم ابتعد وطار. إذاك قال المعلم: «لقد انتهت عظة هذا الصباح».

يبدو لي أن معظم صعوباتنا تكمن في «أن ننظر» من خلالنا نحن،

وبكل وضوح، وليس فقط الأشياء الخارجية، وإنما أيضاً الحياة الداخلية. وعندما نقول إننا ننظر شجرة أو وردة أو شخصاً أهمل ننظر إليها بالفعل؟ أم أننا ننظر على نحو مجرد إلى الصورة التي خلقتها الكلمة؟ أي أنكم عندما تنظرون إلى شجرة أو غيمة في ظهيرة مضيئة، أهمل أنتم تنظرون إليها بالفعل ليس فقط من خلال عيونكم وفكرياً، وإنما على نحو كلي وبشكل تام؟

هل اختبرتم مرة ما شيئاً موضوعياً، شجرة، على سبيل المثال، من دون ارتباطات، ومن دون أي معارف اكتسبتموها، ومن دون أي فكر مُسبق، ومن دون حكم، ومن دون كلمة تشكل حجاً بينكم وبين الشجرة مانعة إياكم من رؤيتها كما هي بالفعل؟ إنكم تختبرون ذلك لكي تنظروا ما يحصل بالفعل، وعندما ترصدون الشجرة بكل كيانكم، وبكلية طاقتكم، ففي هذا التكاثر سترون أنه ليس هناك راصد أياً كان، فقط هناك انتباه. فقط عندما يكون هناك شرود للانتباه يوجد «الراصد والشيء المرصود». وعندما تنظرون بانتباه تام، فلن يكون هناك فضاء لأي مفهوم، أو صيغة ما، أو ذكرى. من الأهمية بمكان أن نفهم هذا، لأننا سنفحص موضوعاً يتطلب تنبهاً دقيقاً وكبيراً للخوض في البحث.

فقط العقل الذي ينظر إلى الأشجار أو النجوم بتخلٍ كلي عن ذاته خاصته، فقط عقل كهذا يعلم ما هو الجمال، وعندما نكون راثين بالفعل نجد أنفسنا في حالة حب. وعموماً، نعرف الجمال من خلال المقارنة أو من خلال ابتكارات الإنسان، الأمر الذي يعني أننا ننسب الجمال إلى شيء ما. وأرى أن ذلك الذي اعتبره بناءً جميلاً، وأقدر هذا الجمال بسبب معرفتي للهندسة، ومن خلال المقارنة مع أبنية أخرى قد رأيتها. ولكنني، أسأل نفسي الآن: «هل يوجد جمال من دون موضوع؟». وعندما يوجد هناك راصد، أو مراقب، مجرب، مفكر، فلن يكون هناك جمال،

لأن الجمال وقتذاك هو أمر خارجي، أمر ينظر إليه الراصد ويحكم، ولكن عندما لا يوجد راصد - فهذا يقتضي تأملاً عميقاً، وبحثاً - ثمة هناك إذن الجمال من دون موضوع.

يكمن الجمال في التخلي الكلي عن الراصد والشئ المرصود، فقط يمكن أن يوجد تخل ذاتي عندما يكون هناك تقشف كلي، ليس تقشف الكاهن بقسوته، وعقوباته، وقواعد الطاعة، وليس التقشف في الملابس، وفي الأفكار، وفي تناول الطعام، وفي السلوك - وإنما التقشف الذي يشتمل على أن تكون بسيطاً على نحو كلي، الأمر الذي يعني التواضع التام. إذن ليس هناك أداء، وليس هناك سلم للصعود، فقط هناك درجة أولى، والدرجة الأولى هي الدرجة الأبدية.

لنفترض على سبيل المثال، أنكم تتزهون وحدكم أو مع أحد. وسكنكم. أنتم محاطون بالطبيعة، ولا يُسمع نباح كلب، ولا ضجة سيارة تمر، ولا حتى صوت خفقان جناحي طير. فأنتم في صمت تام، والطبيعة التي تحيطكم صامته أيضاً. وفي هذه الحالة من الصمت الموجود سواء عند الراصد أو عند الشئ المرصود - لا عندما يترجم الراصد ما يرى في فكر - ففي هذا الصمت ثمة نوعية مختلفة من الجمال. لا توجد لا الطبيعة ولا الراصد. فالموجود هو حالة يكون العقل فيها كلياً ووحيداً على نحو كامل، ووحيداً - لا أقصد أنه منعزل - ووحيداً في سكينته، وفي هذه السكينة يكمن الجمال. وعندما تحبون، هل يوجد راصد ما؟ فقط يكون هناك راصد عندما الحب يكون الرغبة واللذة. وعندما لا تكون الرغبة واللذة هما الحب. فالحب إذاً يكون مكثفاً. كما الجمال، فهو شيء جديد كلياً وفي كل يوم. وكما قلت لتوي فليس للحب بارحة ولا غد.

فقط عندما ننظر من دون فكرة مسبقة، ومن دون صورة، فإننا

نكون قادرين على أن نكون على اتصال مباشر مع شيء ما في الحياة. تقوم علاقاتنا كلها فعلاً على صور مكونة من خلال الفكر. وإذا كان لدي صورة عنكم، وأنتم لديكم صورة عني، فمن الطبيعي ألا ينظر واحدنا للآخر كما نحن عليه فعلياً. وما نراه هو الصور التي نكونها واحدنا عن الآخر، الأمر الذي يعيقنا عن الاتصال، ولهذا السبب بالضبط، فعلاقاتنا ليست على ما يرام.

عندما أقول إنني أعرفكم، فما أعنيه هو أنني تعرفت عليكم البارحة. لا أعرفكم فعلياً الآن. فما أعرفه هو فقط الصورة التي كونتها عنكم. وهذه الصورة متكوّنة مما قلتموه في مدحي أو ذمي، ومن خلال ما قمت به، إنها مكونة من الذكريات كلها التي أملكها عنكم، وصورتكم النسبية عني مكونة بالطريقة نفسها، وهذه الصور هي التي تتدخل في العلاقة وتعيقنا عن تواصل فعلي واحدنا مع الآخر.

عاش شخصان معاً لوقت طويل، ولديهما صور للواحد منهما عن الآخر، وهذه الصور تمنعهما من أن يكونا في علاقة. إذا فهمنا العلاقات، فبوسعنا التعاون، ولكن ليس ثمة إمكانية للتعاون من خلال صور، ورموز، ومفاهيم، وأيديولوجيات. فقط عندما نفهم العلاقة الحقيقية والمتبادلة في ما بيننا، فثمة إمكانية للحب، ولكن الحب يُرْفَض عندما يكون لدينا صور. بالنتيجة، من الأهمية بمكان أن تفهموا، ليس على الصعيد الفكري، وإنما فعلياً، في حياتكم اليومية كما كونتم صوراً عن زوجتكم، وزوجكم، وجاركم، وابنكم، ووطنكم، وسياسيكم، وأهنتكم، فما لديكم ليس سوى الصور.

وتخلق هذه الصور فراغاً بينكم أنتم، وبين ذلك الذي ترصدونه، وفي هذا الفراغ يتواجد الصراع. إذن فلنذهب الآن لكي نكتشف سوية فيما إذ كان من الممكن أن نحرر أنفسنا من الفراغ الذي نخلقه، ليس

فقط خارجنا، بل في داخل ذواتنا نحن أيضاً، وهذا الفراغ هو الذي يفصل الأشخاص عن بعضهم بعضاً في كل علاقاتهم.

والحال هذه، فالانتباه الخاص الذي تمنحونه إلى مشكلة يشتمل على الطاقة التي تحل المشكلة. وعندما تولون انتباهكم كله - بما معناه، كل ما لديكم منه - فلن يوجد راصد أياً كان. ثمّة فقط حالة الانتباه، وهي عبارة عن طاقة كلية، وهذه الطاقة الكلية هي الشكل الأكثر رفعة للذكاء. ومن الطبيعي أن حالة العقل هذه يجب أن تكون كلها من الصمت، وهذه السكينة تظهر عندما يكون هناك انتباه كلي، فهي ليست سكينة انضباطية. هذا الصمت التام حيث لا يكون هناك راصد ولا شيء مرصود هو الشكل الأكثر رفعة لعقل متدين. ولكن ما يحدث في هذه الحالة، لا يمكن التعبير عنه من خلال الكلمات، لأن ما أعرفه بواسطة الكلمات ليس هو الواقع. ومن أجل اكتشافه بأنفسكم أنتم، فعليكم أن تمرروا بهذه الحالة.

تتعلق كل مشكلة بالمشاكل الأخرى كلها، وباعتبار أن الأمر هكذا، فإذا استطعتم حل مشكلة واحدة فقط بشكل تام - لا يهم أي مشكلة هي - فسترون أنكم قادرون على مواجهة وحل المشاكل الأخرى كلها بسهولة. وقد رأينا أن المشكلة فقط بوسعها التواجد في الزمن، أي عندما نواجه وضعاً ما بشكل غير تام. وهكذا، لن يتوجب علينا فقط أن نكون واعين لطبيعة وبنية المشكلة، ورؤيتها على نحو شمولي، ولكن يتوجب علينا مواجهتها فوراً حالما تبرز، والعمل على حلها في الحال لكي لا يكون بمقدورها التجذر في العقل. وإذا تركنا مشكلة ما تدوم شهراً أو يوماً أو حتى بضعة دقائق، فإنها تشوّه العقل. وعلى هذا النحو، سيكون ممكن مواجهة المشكلة حالاً من دون أي تشوّه، ونحرر أنفسنا منها في الحال، وبشكل تام، من دون أن تبقى في العقل أي ذاكرة، ولا أي خدش؟

فهذه الذاكرات هي الصور التي نحملها معنا وهذه الصور هي التي تواجه هذا الشيء العجيب الذي هو الحياة، وبالنتيجة، فثمة تناقض، ومن هنا ينشأ الصراع. الحياة واقعية جداً، وليست تجريباً، وعندما نواجهها مع صورنا عنها فوقتذاك تولد المشاكل.

هل من الممكن مواجهة كل حالة تظهر من دون هذا الفاصل من الفراغ - زمن، ومن دون هذا الخلاء بين الشخص نفسه، وبين ذلك الذي تخشاه؟ فقط يكون ممكناً عندما لا توجد استمرارية للراصد، والراصد الذي هو مكوّن الصور، الراصد الذي هو مجموعة من الذكريات والأفكار وطيف من التجريدات.

عندما تنظرون إلى النجوم، فما يوجد هو أنتم، الذين في صدد النظر إلى النجوم، والسماء مغمورة ببريق النجوم، والهواء بارد، وهناك تكونون أنتم الراصد، والمجرّب، والمفكر، أنتم، بكل قلبكم الموجوع، أنتم، الراصد، والمركز الذي يخلق حوله فراغاً. لن تفهموا شيئاً البتة حول الفراغ الموجود بينكم وبين النجوم، بينكم وبين زوجتكم أو الزوج أو الصديق، ولأنكم لا تنظرون إطلاقاً من دون الصورة، فهذا هو السبب الذي يعود إلى عدم معرفتكم ما هو الجمال أو ما هو الحب. تتكلمون عنهما، وتكتبون حولهما، ولكنكم لم تعرفوهما أبداً، على ألا يكون، ربما في فترات نادرة من تخلّ كلي عن أنفسكم. لطالما يوجد هناك مركز يخلق فراغاً حوله، فلن يكون هناك حب ولا جمالاً. وعدم وجود أي مركز، ولا أي محيط دائرة، فإذا كان يكون هناك حب. وعندما تحبون فأنتم تكونون الجمال.

عندما تنظرون إلى وجه أمامكم، فأنتم تنظرون من مركز، وهذا المركز يخلق الفراغ بين الأشخاص، ولذلك فإن حياتنا تكون فارغة جداً وعديمة الإحساس. لا تستطيعون تغذية الحب أو الجمال، ولا حتى

تستطيعون ابتكار الحقيقة، ولكنكم إذا كنتم واعين دوماً لما تقومون به،
فلسوف تستطيعون تقوية الإدراك، وبفضل هذا الإدراك ستبدأون رؤية
طبيعة اللذة، والرغبة، والألم، والوحدة الكلية، والضجر الذي يعيش فيه
الإنسان، وستبدأون إزاء اكتشاف ذلك الشيء الذي يدعى «فراغ».
إنه بتواجد الفراغ بينكم وبين الموضوع الذي تقومون برصده،
ستعرفون أنه ليس هناك حب، ومن دون حب، فمهما بذلتكم من جهود
أكثر من أجل إصلاح العالم أو إيجاد نظام اجتماعي جديد، ومهما
ناقشتكم أكثر حول إصلاحات، فأنتم ستخلقون نزاعاً. وبالتالي فكل
شيء يتعلق بكم. ليس هناك زعيم، ولا هناك معلم، ولا هناك أحد
يستطيع تعليمكم ما يجب عليكم فعله. فأنتم وحيدون في هذا العالم
المجنون والوحشي.

الفصل الثاني عشر

تميل الطبيعة إلى الاستمرار في مرافقتي أكثر قليلاً. فهذه المادة قد تكون معقدة، ودقيقة، على قدر كبير، ولكن أرجوكم استمروا معي في تفحصها.

حسناً، عندما أكون صورة عنكم أو عن أي شيء، فأنا أملك الإمكانية على رصد هذه الصورة، وعلى هذا النحو، فهناك الصورة وراصد الصورة. انظر إلى شخص، فلنقتض أنه يرتدي قميصاً أحمر، وارتجاعي (ردة فعلي) الحالي هو حب أو عدم حب هذا القميص. فالحب أو عدم الحب هو نتاج ثقافتي، وتربيتي، وردود أفعالي، وميولي، وسماتي المكتسبة أو الموروثة. ومن هذا المركز الذي أرصد من خلاله، وأصدر محاكمتي، فعلى هذا النحو يكون الراصد منفصلاً عن الشيء الذي يقوم برصده.

بيد أن الراصد يدرك أن ثمة أكثر من صورة فقط، وهو يخلق الآلاف من الصور. والحال هذه، هل يختلف الراصد عن هذه الصور؟ أليس هو صورة أخرى فقط؟ إنه دوماً يعمل على إضافة أو إسقاط شيء ما منه نفسه على ما هو عليه، وهو شيء حي، وفي الساعات كلها يكون مشغولاً في التفكير، والمقارنة، والمحاكمة، والتعديل، والتغيير، بسبب ضغوطات الخارج والداخل، ويعيش في حقل الوعي الذي يتكوّن من معارفه الخاصة، والمؤثرات، والتقييمات التي لا

تُحصَى. وفي الوقت نفسه الذي تنظرون فيه إلى الراصد الذي هو
أنتم أنفسكم، ترون أنه مكوّن من ذكريات، وخبرات، وأحداث، وتأثيرات،
وموروثات، وتنوعات طفولية للألم، باعتبار أن هذا كله هو الماضي.
وهكذا فبقدر ما أن الراصد هو الماضي كالحاضر ينتظره الغد ويشكل
جزءاً منه. إنه نصف حي ونصف ميت، وبهذا الموت فالجزء الحي هو
الذي يرصد. وفي هذه الحالة العقلية المتموضعة في حقل الزمن،
فأنتم (الراصد) تنظرون إلى الخوف، والغيرة، والحرب، والعائلة (هذه
الكينونة البشعة والمنفلقة التي تُدعى عائلة)، وتبحثون عن حل لمشكلة
الشيء المرصود، الذي هو التحدي، والجديد، وتعملون دوماً على
ترجمة الجديد ضمن مصطلحات القديم، وبالنتيجة تجدون أنفسكم
في صراع أبدي.

إن صورة عن نوعية الراصد، ترصد دزينات من صور أخرى
حوله، وفي داخل ذاته، ويقول الراصد: «أحب هذه الصورة، وسأحافظ
عليها»، أو «لا أحب هذه الصورة، وبالتالي سأعمل على التحرر منها»
- ولكن الراصد نفسه تكون من عدة صور ولدت عن الارتجاع (رد
الفعل) إزاء عدة صور أخرى. وباعتبار الأمر هكذا، فإننا نبلغ نقطة
نستطيع فيها القول: الراصد هو صورة أيضاً، بيد أنها تعمل على
فصل ذاتها لكي ترصد. وهذا الراصد الذي أصبح موجوداً بسبب
عدة صور أخرى، يحاكم باستمرار بين ذاته خاصته، وبين الصور
الأخرى فأوجد انفصلاً، وفاصلاً زمنياً. ويولد هذا الصراع بينه وبين
الصور التي يعتقد بأنها بلاءاته. فيقول إذاك: «أحتاج تحرير نفسي
من هذا الصراع»، ولكن الرغبة خاصته بالتحرر من الصراع يخلق
صورة أخرى.

إدراك هذا كله هو التأمل الحقيقي، وإظهار تواجد صورة

مركزية مكوّنة من كل الصور الأخرى، وهذه الصورة المركزية -
الراصد - هي المراقب، والمجرّب، والمقيّم، والقاضي الذي يرغب في
غزو أو إخضاع الصور الأخرى أو تدميرها كلها. والحقيقة أن الصور
الأخرى تتجم عن الأحكام، والآراء، واستنتاجات الراصد، والراصد هو
النتيجة لكل الصور الأخرى - وبالتالي، فالراصد هو نفسه الشيء
المرصود.

وهكذا فالإدراك يُظهر حالات العقل المختلفة، ويُظهر الصور
المتعددة، والتناقض الموجود فيما بينها، ويُظهر الصراع الناجم عنها،
واليأس الناجم عن الشعور بعدم القدرة على فعل أي شيء إزاء
الصراع، والمحاولات المختلفة للهرب منه. وتم إظهار هذا كله من خلال
المراقبة الفطنّة، وتدركون إذاك أن الراصد هو الشيء المرصود. فليس
هو كينونة عليا تصبح واعية لهذه الأشياء، وليس هو «أنا» أسمى
(الكينونة العليا، وأنا الأسمى هما مجرد ابتكارين، والكثير من الصور
الأخرى)، فالإدراك نفسه يُظهر أن الراصد هو الشيء المرصود.

إذا وجهتم لأنفسكم سؤالاً، ما هي الكينونة التي ستتلقى الإجابة؟
وما هي الكينونة التي ستتقصّى؟ فإذا كانت هذه الكينونة تشكل جزءاً
من الوعي، وتشكل جزءاً من الفكر، ففي هذه الحال تكون عاجزة عن
اكتشاف الإجابة. فما يمكن اكتشافه هو فقط حالة إدراك. ولكن في
هذه الحالة من الإدراك إذا ما استمر وجود كينونة تقول: «أحتاج أن
أكون واعية، أحتاج ممارسة الإدراك» - فهذه الكينونة بدورها، هي
صورة إضافية.

هذا الإدراك بأن الراصد هو الشيء المرصود ليس عبارة عن
سياق تماهٍ مع الشيء المرصود. التماهي مع شيء ما سهل نسبياً.
الأغلبية منا تتماهى مع شيء ما: مع العائلة، والزوج، والزوجة،

والأمة، ويؤدي هذا التماهي إلى آلام كثيرة وحروب كبيرة. إننا نتخذ بعين الاعتبار شيئاً مختلفاً بالكامل، ولا يجب علينا فهمه لفظياً. وإنما في الصميم، في جذر كياناتنا نفسه. في الصين القديمة، إن فنانياً، قبل شروعه في رسم أي شيء، شجرة على سبيل المثال - يظل جالساً أمامها خلال أيام، وشهور، وسنين (لا يهم كم من الوقت) حتى هو نفسه يتحول إلى شجرة. فهو لم يكن يتماهى مع الشجرة، وإنما كان الشجرة. وهذا يعني أنه لم يكن هناك فراغ بينه وبين الشجرة، لم يكن هناك ثمة فراغ بين الراصد والشيء المرصود. لم يكن يتواجد مجرب يختبر الجمال، والحركة، والنوع، ودقة ورقّة، و«نوعية» اللون. كان الشجرة على نحو كلي فقط في هذه الحالة كان بمقدوره أن يرسمها. أي حركة من جهة الراصد، إذا لم يدرك أن الراصد هو الشيء المرصود، فإنه يخلق فقط سلسلة من الصور، وأكثر من مرة يجد نفسه واقعاً في شركها. ولكن ماذا يحدث، عندما يدرك الراصد أنه هو نفسه الشيء المرصود؟ إمشوا ببطء، ببطء جداً، ذلك أنكم تتفحصون شيئاً معقداً للغاية. فماذا يحصل؟ الراصد لا يفعل إطلاقاً. الراصد يقول دائماً: «علي أن أقوم بأمر بخصوص هذه الصور، يجب كتبها، أو منحها هيئة مختلفة»، فيكون فعلاً دوماً بخصوص الشيء المرصود، يفعل ويتفاعل، شغوفاً أو لا مبالٍ، وهذا الفعل بأن يحب ولا يحب، من جهة الراصد، يدعى الفعل الإيجابي - «أحب هذا الشيء، وبالتالي يجب المحافظة عليه، ولا أحب ذلك، وبالتالي، علي أن أحرر نفسي منه». ولكن عندما يدرك الراصد أن الشيء الذي هو على علاقة به، وهذا الشيء في صدد الفعل هو نفسه الراصد، ليس هناك صراع إذن بينه وبين الصورة. فهو هي. وهو ليس منفصلاً عنها. وعندما يكون منفصلاً فهو كان يقوم أو يحاول القيام

بشيء ما بخصوصها، ولكن عند إدراكه أنه نفسه هو ذلك، فليس ثمة بعد حب أو عدم حب، والصراع ينتهي.

إذن، ماذا يستطيع أن يفعل؟ فإذا كان شيء هو أنتم فماذا بوسعكم أن تفعلوا؟ لن يكون بوسعكم أن تتمردوا عليه، أو تهربوا منه، أو حتى قبوله. فهو موجود فحسب. وهكذا فإن كل فعل ناجم عن ارتجاع، وحب، وعدم حب، يتوقف.

إذاك ستكتشفون أنه ثمة إدراك يصبح حياً إلى أقصى حد. ليس خاضعاً لأي عامل مركزي أو أي صورة، ومن شدة الإدراك هذه تصدر نوعية مختلفة من الانتباه والذهن، وبالنتيجة يصبح حساساً للغاية، وذكياً بدرجة فائقة.

الفصل الثالث عشر

ننتقل الآن إلى تفحص مسألة الفكر - ما هو التفكير؟ - معنى هذا الفكر الذي يجب القيام به بدقة، ومنطق، وتوازن (في فعالياتنا اليومية)، ومعنى الفكر الذي لا يملك أدنى أهمية. إلا إذا عرفنا هاتين الصفتين (للفكر)، فلن يكون لدينا إمكانية فهم شيء أكثر عمقاً بكثير من أن يستطيع الفكر بلوغه. نتطرق إذن، إلى فهم البنية المعقدة كلها التي تكوّن التفكير، الذاكرة - كيف يوَلد الفكر، وكيف يشكل الفكر إشرافاً لأفعالنا، وبفهمنا لهذا كله، لربما سنعتثر على شيء لم يكتشفه الفكر البتة، شيء يمتلك باباً يعجز الفكر عن فتحه.

لماذا أصبح الفكر هاماً جداً في حياتنا؟ - هل الفكر الذي هو عبارة عن أفكار، هو ارتجاع (رد فعل) للذاكرات المتراكمة في الخلايا الدماغية؟ ربما الكثيرون منكم لم يوجهوا لأنفسهم خاصتهم سؤالاً من تلك الأسئلة، أو أنهم إذا قاموا بذلك، فيجب أن نقول: «ليس لذلك أدنى أهمية، فالمهم هو الانفعال». لكنني، لا أرى إمكانية فصل هذين الشيئين. فإذا لم يعط الفكر استمرارية للشعور، فالشعور يموت بسرعة كبيرة. وبالتالي، فلماذا أولينا الفكر في حياتنا اليومية، في هذه الحياة الهائجة، والمملة، والمرعبة - أهمية مفرطة جداً؟ إسألوا أنفسكم، كما أسأل نفسي: «لماذا نحن عبيد للفكر - فمن هذا الفكر الفطن والحاذق، والقادر على التنظيم، وعلى القيام بالمبادرات، والذي ابتكر أشياء كثيرة،

وولّد حروباً كثيرة، وأوجد الخوف، والكثير من القلق، والذي يخلق صوراً بشكل دائم، وتراه «يركض خلف ذيله خاصته». والفكر الذي تمتع بلذة البارحة، وأعطت هذه اللذة استمرارية في الحاضر وفي المستقبل أيضاً، ومن هذا الفكر الناشط دائماً في الثرثرة، والحركة، والبناء، والاختلاس، والإضافة، والافتراض؟»

أصبحت الأفكار بالنسبة إلينا أكثر أهمية بكثير من الفعل - أفكار معروضة بحداقة كبيرة في كتب المفكرين، في كل مجالات النشاط. وكلما كانت هذه الأفكار أكثر فطنة ورفعة، كلما أكرمناها أكثر هي والكتب التي تحويها. فنحن نصبح هذه الكتب نفسها، وهذه الأفكار، ونحن مشروطون بها بقوة كبيرة جداً. ونحن نناقش أفكاراً وأفكاراً على نحو أبدي، ونقدم آراءً على نحو جدلي. ولدى كل ديانة عقيدتها وصيغتها، وسقالتها خاصتها من أجل بلوغ الآلهة، وكما أننا نتقصى مصادر الفكر، فإننا نتثبت من صلاحية بناء الأفكار هذه كلها. ونقوم بفصل الأفكار عن الفعل لأن الأفكار هي دوماً من الماضي، والفعل هو دوماً في الحاضر - أي أن نحيا فهو دائماً الحاضر. ولدينا خوف من أن نحيا، وبالنتيجة، أضفينا أهمية كبرى على الماضي والأفكار.

وبالفعل فمن المهم جداً أن نرصد عمليات فكرنا خاصتنا، فإن نرصد ببساطة كيف نفكر، والمصدر من حيث يبرعم هذا الارتجاع الذي ندعوه تفكيراً. ومن الواضح أن هذا المصدر هو الذاكرة. هل يوجد بالواقع بداية للفكر؟ وإذا كان يوجد فهل نستطيع العثور عليه؟ أي بداية الذاكرة لأننا إذا لم نكن نملك ذاكرة لما كان لدينا فكر.

لقد رأينا كيف أن الفكر يدعم ويعطي استمرارية للذة تمتعنا بها البارحة، وكيف أن الفكر يدعم أيضاً نقيض اللذة، الخوف والألم، على نحو أن المجرب الذي هو المفكر، يكون اللذة والألم، وأيضاً يكون الكينونة

التي تقدم لهما التغذية لبقائهما . والمفكر يفصل اللذة عن الألم . ولا يدرك أنه في التطلب نفسه للذة يقوم بجذب الألم والخوف . ويتطلب الفكر في العلاقات الإنسانية اللذة دائماً ، والتطلب الذي يتكرر بالكلمات كالوفاء، والعون، والمنحة، والمؤازرة، والخدمة . أسأل نفسي: لماذا نريد خدمة الآخرين؟ فمحطة البنزين تقدم خدمات جيدة . فماذا تعني هذه الكلمات: عون، منحة، خدمة؟ ما الغاية من هذا كله؟ فالوردة ممثلة بالجمال والنور والافتتان . وهل تقول هذه الوردة: «إنني أعطي، وأساعد، وأخدم؟» فهي تكون، ولأنها لا تبحث عن القيام بشيء ما، فهي تضم الأرض كلها .

الفكر دقيق جداً، حاذق جداً، لدرجة أنه يشوه الأشياء كلها من أجل مصلحته الخاصة . الفكر مع إلحاحه على اللذة، يجلب عبوديته خاصته . الفكر يخلق الثنائية في كل علاقاتنا: فثمة فينا، العنف الذي يتيح لنا اللذة، ولكن ثمة أيضاً الرغبة في السلام، والرغبة في أن تكون طيباً ولبقاً . وهذا ما يحصل في كل ساعة، وفي حياتنا . لا يخلق الفكر هذه الثنائية فقط وهذا التناقض، ولكنه يراكم أيضاً ذكاراتنا التي لا تُحصى من اللذة ومن الألم، وهو يولد ثنائية من هذه الذكارات . وهكذا، فالفكر هو الماضي، والفكر كما قد قلت هو قديم على الدوام .

مثل كل تحد تتم مواجهته ضمن مصطلحات الماضي - التحدي، وهو جديد دائماً - وطريقتنا في مواجهته ستكون دوماً غير لائقة على نحو كلي، ومن هنا ينشأ التناقض، والصراع، والألم، والعذاب الذي نحن معرضون له . إن فكرنا الذي لا معنى له يكون في صراع، ولا يهتم ماذا يفعل . ولا يهم أن يتوق، وأن يحاكي، وأن يوحى، وأن يقمع، وأن يصعد، وأن يتناول مخدرات لكي يتسع - أو أي شيء كان - فهو يجد نفسه في حالة صراع وسوف يُنتج صراعاً على الدوام .

الذين يفكرون دائماً هم ماديون بكل ما في هذه الكلمة من معنى، لأن الفكر مادة. الفكر هو مادة بقدر ما هي الأرضية الخشبية، والجدار، والهاتف. فهذه الأشياء عبارة عن مادة. والطاقة التي تفعل على مستوى تصبح مادة. ثمّة طاقة، وثمّة مادة، وهذه فقط هي الحياة. تستطيعون التفكير بأن الفكر ليس مادة، ولكنه كذلك. الفكر كالإيديولوجيا هو عبارة عن مادة. وحيث تكون هناك طاقة، فهذه الأخيرة تتحول إلى مادة. المادة والطاقة مرتبطتان فيما بينهما. واحدة لا يمكن لها أن توجد من دون الأخرى. ويقدر ما يكون هناك انسجام أكبر فيما بينهما بقدر ما يكون هناك توازن أكبر، وتكون أيضاً الخلايا الدماغية في نشاط أكثر. رسّخ الفكر نموذج اللذة، والألم، والخوف منذ آلاف السنين، ولا يمكن تحطيمه (أي النموذج) لأنه هو (أي الفكر) الذي أوجده.

واقع جديد لا يمكن إدراكه من خلال الفكر. لاحقاً يمكن أن يتم فهمه من خلال الفكر، لفظياً، إلا أن إدراك واقع جديد ليس حقيقة بالنسبة للفكر. لم يحل الفكر إطلاقاً مشكلة نفسية. ويقدر ما يكون أكثر حذاقة، وأكثر رفعة، وأن يكون علامة، وأياً كانت البنية التي أوجدها الفكر بواسطة العلم كدماغ إلكتروني، ومن الإكراه أو من الحاجة، فالفكر لا يكون جديداً أبداً. وبناء عليه، لا يستطيع بالإطلاق أن يحل مسألة هامة إجمالاً. فالدماغ القديم لا يستطيع حل مشكلة العيش الضخمة.

الفكر مكار لأنه يستطيع ابتكار كل شيء ورؤية أشياء ليست موجودة. إنه قادر على الخدع الأكثر خراقة، وبالتالي، فهو لا يستحق الثقة. ولكنكم إذا استطعتم فهم بنيته كلها، لماذا تفكرون، والكلمات التي تستخدمونها، وتصرفكم في الحياة اليومية، وأسلوبكم في الكلام مع الأشخاص والتعامل معهم، وطريقتكم في المشي، وتناول الطعام - إذا

أدرکتُم هذه الأشياء كلها، إذاك فإن عقلکم لن یُضلکم، وإذاک لن يتواجد شيء لتضليلکم. ليس العقل إذن ههنا كینونة تتطَلَّب، وتحاکم، فيصبح إجمالاً ساکناً، مرناً، حساساً، وفي هذه الحالة فقط لن يكون هناك ضلال من أي نوع كان.

هل لاحظتُم أنکم عندما تجدون أنفسکم في حالة تامة من الانتباه، فالراصد، والمفکر، والمركّز، وال«أنا» یکفّ عن وجوده؟ ففي هذه الحالة من الانتباه يبدأ الفکر بالاضمحلال.

إذا ما رغب شخص في رؤية شيء بوضوح كبير، فيجب أن يكون لديه عقل ساکن جداً، من دون أفكاره المسبقة، وهذره، وحواراته، وصوره، وإطاراته - فيجب أن يتم وضع هذا كله على الهامش من أجل النظر. فقط في الصمت يمكن رصد بداية الفکر، وليس عندما نكون في مسعى، وفي توجيه أسئلة، وانتظار إجابات. وبالتالي، فقط عندما يكون هناك سکینة تامة في کياننا، نتساءل: «ما هو مصدر الفکر؟» فنبدأ بالرؤية بفضل هذا الصمت، كيف يتكوّن الفکر.

إذا كان هناك ثمة إدراك للكيفية التي يبتدئ فيها الفکر، فلن تكون هناك ثمة حاجة للسيطرة عليه. فنحن ننفق مجموعاً كبيراً من الزمن، ونبدد كمية كبيرة من الطاقة خلال الحياة كلها، وليس فقط في المدرسة، ونسيطر على أفكارنا - «هذا فکر جيد، يجب عليّ التفكير فيه مرات كثيرة»، «وهذا فکر سيئ يجب قمعه». فتتشب معركة مستديمة بين فکر وآخر، وبين رغبة وأخرى (لذة تسيطر على كل الملذات الأخرى) ولكن إذا ما كان هناك إدراك لمصدر الفکر، فلن يوجد فيه أي تناقض.

الآن عندما يُسمع تأكيد مثل: «الفکر قديم دائماً» أو «الزمن معاناة»، ويبدأ الفکر بترجمته، وتفسيره. إلا أن الترجمة والتفسير يتأسسان على المعرفة، وعلى تجربة البارحة، وعلى نحو غير متغيّر،

وستترجمونه وفقاً لإشراداتكم. لكن إذا ما نظرتهم إلى هذه التأكيدات، ولم تقوموا بتفسيرها بأي شكل من الأشكال، مبعدين إياها، إذك فبانتباهكم التام (ليس التركيز) تكتشفون أن ليس هناك راصد ولا شيئاً مرصوداً. وبأنه ليس هناك مفكر ولا فكر. لا تقولوا «ما الذي بدأ أولاً؟» فهذا سؤال حاذق، ولكنه لا يقود إلى أي مكان. تستطيعون الرصد في ذواتكم أنه عندما لا يكون هناك ثمة فكر - وهذا لا يعني حالة من نسيان وخلاء - عندما لا يكون هناك فكر صادر عن الذاكرة، والتجربة، أو المعرفة، ذلك أن هذا كله هو من الماضي، وليس هناك أي مفكر. فهذه ليست مادة فلسفية أو سرانية. فنحن نعالج وقائع حقيقية، وإذا ما رافقتهموني حتى هنا، فسننتقل إلى الاستجابة تجاه كل تحد، ليس من خلال الدماغ القديم، وإنما بطريقة جديدة كلياً.

الفصل الرابع عشر

الحياة التي نتخذها على عاتقنا عموماً فيها ثمة القليل جداً من الوحدة. حتى عندما نكون وحيدين، فحياتنا ممتلئة جداً بالمؤثرات، والمعارف، والذاكرات، والتجارب، والقلق، والعذاب، والصراع، لدرجة أن عقلنا يصبح في كل مرة أكثر استفاداً ومنعدم الإحساس، يعمل على نحو روتيني رتيب. هل نكون وحيدين ذات مرة؟ أو أننا ننقل معنا كل حمولات الأمس؟

يُحكى عن قصة هامة حول راهبين، أثناء مسيرهما من قرية إلى أخرى، التقوا شابة جالسة على ضفة نهر، وهي تبكي. توجه واحد من الراهبين نحوها قائلاً لها: «علام البكاء يا أختي؟» فأجابته: «هل ترى ذلك المنزل من الجانب الآخر من الضفة؟ فقد أتيتُ إلى هذا الجانب اليوم صباحاً باكراً، ولم أشعر بصعوبة أن أخوض في النهر، ولكنه الآن قد أصبح أكثر علواً، ويصعب عليّ الرجوع، فليس هناك ثمة قارب». «أوه» قال الراهب، «هذا كل ما في الأمر؟!» - وحمل الشابة بين ذراعيه، وعبرَ النهر، تاركاً إياها على الضفة الأخرى. وتابع الراهبان طريقهما سوية. وبعد مرور بضعة ساعات، قال الراهب الآخر: «يا أخ، نحن نذرنا بعدم لمس امرأة. وما قمتَ به فهو معصية فظيعة. ألم تشعر بالتلذذ، وبإحساس خارق عندما لمست المرأة؟» - فأجابه الراهب الآخر: «أنا تركتها ورائي منذ ساعتين. وأنت لا زلتَ تحملها حتى الآن، أوليس هذا حقيقة؟».

وهذا ما نقوم به. نحمل أعباءنا في الساعات كلها، ولا نموت عنها إطلاقاً، ولا نتركها وراءنا على الإطلاق. فقط نتخلص من مشكلة ما عندما ينصبُّ انتباهنا كله على حلها فوراً، من دون حملها معنا إلى اليوم التالي، والدقيقة التالية - فقط إذا كان هناك شعور بالوحدة. إذن، حتى لو كنا في منزل مليء بالناس، أو راحلين في حافلة، فنظل في شعور بهذه الوحدة. وهذه الوحدة تعبر عن عقل جديد وبريء.

إنه لمن الأهمية بمكان أن يوجد لدينا صمت وفراغ داخليان، لأن ذلك يتضمن حرية من أجل أن نوجد، وأن نتحرك، وأن نوثر، وأن نخلق. وبالنتيجة، فالطيبة فقط يمكنها أن تتفتح حيث يوجد فراغ، كما هو الأمر بالنسبة للفضيلة فهي فقط يمكنها التفتح عندما يكون هناك حرية. ويمكننا الحصول على حرية سياسية، لكننا على مستوى الداخل، لسنا أحراراً، وبالتالي ليس هناك فراغ. ما من فضيلة، وما من صفة ذات قيمة يمكن أن تعمل أو تتفتح من دون هذا الفراغ الداخلي الواسع. فالفراغ والصمت ضروريان، ذلك أن العقل يكون وحيداً، حرّاً من المؤثرات، ومن الأنظمة، ومن السيطرة على تنوعات لا منتهية من التجارب. إن عقلاً كهذا يكون قادراً أن يعثر على شيء جديد كلياً.

يُمكن لكل واحد منا التحقق مباشرة لدرجة يكون فيها ثمة فقط إمكانية للصفاء، عندما يجد العقل نفسه في صمت. ففي الشرق، تكمن الغاية من التأمل في إنتاج حالة عقلية قادرة أن تسيطر على الفكر، الأمر الذي يعني الشيء نفسه في ما نراه من تلاوة دعاء على نحو مستمر من أجل إسكات العقل أملاً أنه في هذه الحالة سوف تُفهم مشاكل الفرد. ولكن ما إن تجري قواعد الطريقة، أي أن يكون العقل حرّاً من الخوف، وحرّاً من الألم، ومن القلق، ومن كل الفخاخ التي هيأناها لأنفسنا، فأنا لا أرى إمكانية للعقل أن يبقى ساكناً بهذه

البساطة. فهذا واحد من الأشياء الأكثر صعوبة في نقلها. التواصل فيما بيننا لا يتطلب منا فقط أن نفهم الكلمات التي استخدمها، ولكن عندما يكون كلا الجانبين أيضاً، أنا وأنتم، متوترين في الوقت نفسه، ففي لحظة عاجلاً أم آجلاً، نكون قادرين على الالتقاء في المستوى نفسه. وهذا التواصل ليس ممكناً عندما تشرعون بتفسير كل ما أنتم تقرأونه وفقاً لمعارفكم خاصتكم، ولذتكم أو آرائكم، أو عندما تقومون بجهد هائل من أجل الفهم.

إحدى أسوأ العثرات في الحياة - يبدو لي - أنه يكمن في هذا الصراع المستمر من أجل البلوغ، والتحقيق، والمكسب. فمنذ الطفولة تمت تربيتنا من أجل الكسب والتحقيق، فالخلايا الدماغية خاصتكم تخلق وتتطلب هذا النموذج من التحقيق، للحصول على شعور جسماني بالأمان، ولكن الشعور بالأمان النفساني لا يُعثر عليه في حقل التحقيق. نتطلب الشعور بالأمان في علاقاتنا كلها، ومواقفنا، ونشاطاتنا، ولكننا، كما قد رأينا، فليس ثمة وجود فعلي لهذا الشيء المدعو «الشعور بالأمان». وإذا اكتشفتكم بدوركم أنه ليس هناك أي شكل للشعور بالأمان في أي نوع من العلاقة - وإذا أدركتم أنه لا يوجد شيء على المستوى النفسي دائماً، فهذا الإدراك يتيح لكم أسلوباً مختلفاً كلياً في أخذ الحياة بعين الاعتبار. إنه جوهري، بشكل طبيعي، الشعور بالأمان الخارجي - سقف، ثياب، طعام - ولكن هذا الشعور بالأمان الخارجي يتم تدميره من خلال تطلب الشعور بالأمان النفسي.

الفراغ والصمت ضروريان لكي نتجاوز حدود الوعي، ولكن، كيف يستطيع العقل البقاء ساكناً، عقل يكون بشكل دائم ناشط في اهتمامه خاصته؟ نستطيع تلمذته، ومراقبته، وقولبته، ولكن هذا التعذيب لا يجعل العقل ساكناً، وإنما يجعله مستنفداً فقط. ومن الواضح، أن مجرد

تغذية المثال بامتلاك عقل ساكن فهذا لا قيمة له، لأنه بقدر ما نجبره، بقدر ما يصبح أكثر ضيقاً وركوداً. أي شكل من السيطرة مثل القمع، فقط يُنتج صراعاً أكثر. وهكذا، فالسيطرة والنظام الخارجي لا يشكلان الطريق الصحيح، وأيضاً ليس هناك أي قيمة لحياة لا انضباط فيها.

الحياة بالنسبة لمعظمنا تقريباً منضبطة خارجياً من خلال متطلبات المجتمع، والعائلة، وألنا خاصتنا، وتجربتنا خاصتنا، ومن خلال التكيف مع بعض النماذج الأيديولوجية أو غيرها، وهذا الشكل من الانضباط الموجود هو من الأشياء الأكثر ضرراً للإنسان. فالانضباط يجب أن يكون من دون سيطرة، ومن دون قمع، ومن دون أي شكل للخوف. إذن كيف يمكن أن يولد هذا الانضباط؟ في الحقيقة ليس الأمر يقوم على أن الانضباط أولاً، وبعد ذلك تأتي الحرية، فالحرية كائنة تماماً في البداية، وليس كما نظن أنها في النهاية. فهذه الحرية أنها تعني أن يكون المرء حراً من التكيف الذي يفرضه الانضباط، هي انضباط في حد ذاتها. وإن فعل التعلم نفسه انضباط (وبعبارة أخرى، فإن الجذر نفسه لكلمة انضباط يعني تعلم⁽¹⁾)، فالتعلم نفسه يتحول إلى صفاء للذهن. إن فهم طبيعة بنية السيطرة كلها، والقمع، والموافقة يقتضي انتباهاً. ليس ضروري فرض انضباط من أجل الدراسة، ذلك أن فعل الدراسة يخلق انضباطه الخاص، من دون زجر بأي شكل من الأشكال.

لكي نرفض السلطة (نشير إلى السلطة النفسية وليس سلطة

(1) في البرازيلية أي البرتغالية الكلمتان لهما جذر مشترك:

Desceplinar - Desceplina. (المترجم).

القانون)، نرفض سلطة كل التنظيمات الدينية، وكل الموروثات، والتجربة، فعلياً أن نرى لماذا نطيع بشكل طبيعي، علينا بالفعل دراسة هذا الأمر. تتطلب هذه الدراسة أن نجد أنفسنا أحراراً من الإدانة، ومن التكيف، ومن الرأي، ومن التقبل. والحال هذه، لا نستطيع قبول السلطة، ودراستها في نفس الوقت، فهذا أمر مستحيل. ولأجل أن ندرس البنية النفسية كلها للسلطة، يكفي وجود الحرية في داخلنا نحن أنفسنا. وعندما نكون في صدد دراستها، فنكون في صدد رفض بنيتها كلها، وعندما نرفض، فهذا الرفض نفسه يكون نوراً للعقل الحر من السلطة. إنكار كل ما يؤخذ بعين الاعتبار على أنه ذا قيمة - كالنظام الخارجي، والزعامة، والمثالية - يتطلب دراسته، وإذناك فإن فعل الدراسة نفسه هذا ليس هو انضباط فحسب، بل إنكار كل ما يمت بصلة للسلطة الخارجية المتمثلة بما ذكرناه أعلاه، وهذا الإنكار عينه هو فعل إيجابي. وعلى هذا النحو فإننا نشجب كل الأشياء المعتبرة هامة لإثارة سكون العقل.

وكما رأينا، فليست السيطرة هي التي تقود إلى السكينة. ولا يكون العقل ساكناً عند امتلاكه موضوعاً يمتصه على نحو ما ويضيع في هذا الموضوع. فهذا الأمر يبدو كإعطاء طفل صغير لعبة هامة، ويصبح الطفل هادئاً، ولكن عند سحب اللعبة منه يعود إلى شيطناته. لدينا جميعاً ألعابنا التي تمتصنا، ولذلك نظن أنفسنا أننا هادئون. ولكن إذا كرس رجل نفسه إلى طريقة ما من النشاط، علمية، أو أدبية، أو أي نشاط آخر، فاللعبة تمتصه فقط وهو لا يكون على الإطلاق ساكناً كلياً. الصمت الوحيد الذي نعرفه هو ذلك الصمت الذي يأتي عندما يتوقف الضجيج، وعندما لا نفكر بشيء، ولكن هذا ليس هو الصمت. الصمت هو شيء مختلف تماماً، كما الجمال، وكما الحب. وهذا الصمت ليس نتاجاً لعقل ساكن، وليس نتاجاً لخلايا دماغية قد فهمت البنية

كلها، وتقول: «كرامة للرب، إبقى صامتاً» فهي إذن، الخلايا الدماغية نفسها التي تُنتج ذلك الصمت، ولكن هذا ليس هو الصمت. ولا يكون الصمت نتاجاً للانتباه حيث الراصد هو موضوع الرصد، فلا يكون إذاً هناك مصادمة، ولكن هذا ليس هو الصمت.

إنكم تنتظرون مني أن أصف لكم ما هو هذا الصمت، لكي تستطيعوا مقارنته، وتفسيره، وأخذه، ودقته. ولكن، في الحقيقة فهو لا يوصف. وما يمكن وصفه هو المعلوم، ففي الحالة الحرة من المعلوم فقط يمكن أن يصبح موجوداً، أي عندما يكون هناك موت عن المعلوم في الأيام كلها، وعن الشتائم، وعن التملقات، وعن كل الصور التي كنا قد كوناها، وعن كل تجاربكم: الموت عن كل الأيام، لكي تصبح الخلايا الدماغية جديدة، ونضرة، وبريئة. ولكن هذه البراءة، وهذه العذوبة، وهذه «الصفة» من الحنو والرقّة هي التربة الصالحة للحب ولكنها لا تنتجها، وهي التربة الصالحة للجمال والصمت ولكنها لا تنتجها.

ذلك الصمت الذي ليس هو الصمت عند توقف الضجيج، إنما هو فقط بداية متواضعة. فالأمر أشبه ما يكون بمثابة المرور من خلال نفق ضيق من أجل الوصول إلى محيط ضخم وواسع وممتد - إلى حالة لا حد لها، لا زمنية. ولكن هذا لا يمكن فهمه لفظياً، إلا إذا فهمنا البنية الكلية للوعي ومعنى اللذة والألم واليأس والخلايا الدماغية نفسها تكون قد أصبحت ساكنة. إذن، ربما تحصلون على ذلك اللفظ الذي ما من أحد بمقدوره إظهاره لكم، ولا شيء لديه القدرة على تدميره. عقل حي هو عقل ساكن، وعقل حي هو عقل ليس لديه أي مركز، وبالنتيجة فهو فارغ ولا زمنياً. فهذا العقل غير محدود، وهذه هي الحقيقة الوحيدة، والواقع الوحيد.

الفصل الخامس عشر

نرغب جميعاً بتجارب من طبيعة ما : التجربة السرانية، والدينية، والجنسية، وتجربة امتلاك ثروة طائلة، والقدرة، والمكانة، والهيمنة. نتقدم في العمر، ويمكننا الانتهاء من متطلبات شهواتنا الجسمانية، إلا أننا نتطلب تجارب أكثر رحابة وعمقاً، وذات معانٍ، ونحاول بعدة وسائل الحصول عليها : موسعين من وعينا، وعلى سبيل المثال، الأمر الذي هو بالفعل فن، أو أننا نتعاطى المخدرات من كل نوع. وهذه وسيلة قديمة، موجودة منذ الأزمنة السحيقة - مضع قطعة من ورقة مخدرة أو اختبار المنتج الكيميائي الجديد، لإثارة تعديل مؤقت في بنية الخلايا الدماغية، وحساسية أعظم وإدراك أكثر شدة يتيح مظهراً خداعاً للواقع. وهذا المتطلب لتجارب متواترة يشير إلى الفقر الداخلي للإنسان. ونفكر أننا بواسطة هذه التجارب نحن نهرب من أنفسنا، ولكن هذه التجارب مشروطة بما نحن عليه. وإذا كان العقل خسيساً، وغيوراً، وقلقاً، فسيتمكن الشخص من اتخاذ المخدر الأحدث، إلا أنه فقط سوف يرى اختلاقه الواقع خاصته الذي لا معنى له، وإسقاطات إشراطه العميق خاصته.

تتطلب الأغلبية منا تجارباً دائمة ومُشبعة على نحو تام، لدرجة لا يمكن فيها تدميرها من قبل الفكر. وهكذا فما وراء هذا المتطلب تكمن الرغبة بالإشباع. وهذه الرغبة بالإشباع تفرض التجربة،

وبالنتيجة علينا أن نفهم ليس مادة الإشباع هذه فحسب، بل الشيء الذي نختبره أيضاً . فإن يكون لدينا إشباع كبير هو اختبار سرور عظيم . ويقدر ما كانت التجربة دائمة وعميقة وواسعة، فكذلك أيضاً تكون باعثة أكثر على الشعور بالرضا، وبالتالي، فاللذة (السرور) تفرض شكل التجربة التي نريدها، واللذة هي بالضبط المعيار الذي نقيم من خلاله التجربة . وكل ما هو قابل للقياس نعثر عليه في حدود الفكر، ولديه خاصية خلق الوهم . قد تحصلون على تجارب رائعة، ومع ذلك تشعرون بشكل تام أنكم مُحَبَطُونَ . ستحصل لكم حتماً رؤى بالتوافق مع إشراطكم، وسترون المسيح أو البوذا أو أيأ كان ممن تؤمنون، ويقدر ما كنتم أكثر إيماناً، فكذلك أيضاً ستكون رؤاكم أكثر شدة، وإسقاطاتكم لمتطلباتكم وأشواقكم .

وهكذا فإذا ما كان مقياسكم هو السرور في بحثكم عن شيء أساسي كالحقيقة، فإنكم قد أسقطتم ما ستكون عليه التجربة، وبالنتيجة، فهي في حد ذاتها لا قيمة لها .

ماذا نفهم من التجربة؟ هل يوجد فيها شيء ما جديد أو أصلي؟ التجربة هي طيف من ذكريات تتفاعل إزاء تحد، و فقط تستطيع التفاعل بالتوافق مع الماضي، ويقدر ما تكونون أكثر حذاقة في تفسير التجربة، كلما كان هذا الماضي يتفاعل أكثر . وهكذا، يجب عليكم أن تسائلوا لا تجربة الآخرين فحسب، بل أيضاً تجربتكم خاصتكم . وإذا لم تتعرفوا على تجربة، فلن يكون هناك أي تجربة . وكل تجربة قد تم اختبارها، وإلا فإنكم لن تتعرفوا عليها . التعرف على تجربة أنها جيدة، أو سيئة، جميلة، ومقدسة... الخ، بالتوافق مع إشراطكم، وبالنتيجة، فالتعرف على تجربة يصبح حتماً تعرفاً من الماضي .

وعندما نتطلب اختبار الحقيقة - كما هو حالنا جميعاً، أليس

كذلك؟ - فمن أجل اختبارها، يجب التعرف عليها، وعلى الفور نتعرف عليها، فقد أسقطناها، وبالتالي، فليست هي حقيقية، نظراً لكونها لا تزال في حيز الفكر والزمن. وإذا استطاع الفكر من خلال التفكير في الحقيقة، فهذا لا يمكن أن يكون الحقيقة. لا يمكن التعرف على تجربة جديدة. إن هذا أمر مستحيل. فقط نتعرف على ذلك الذي قد عرفناه. وبناء عليه، عندما نقول إننا حصلنا على تجربة جديدة، فهي لن تكون جديدة إطلاقاً. والسعي إلى تجربة إضافية لتوسيع الوعي، كما لو كان الأمر مجرد تعاطي مخدرات مهلوسة (الشهيرة الـ LSD الباعثة على رؤى والشعور بالخروج من الجسد ويفعل المخدر على شكل أمواج وألوان، كل موجة تدفع المتعاطي لاختبار دفع جديد من التجارب الخارقة) فهي لا تزال في حقل الوعي، وبالنتيجة فهي محدودة جداً. نكتشف إذن حقيقة أساسية، أي أن العقل الذي هو في حالة سعي وتلهّف لتجارب أكثر اتساعاً وعمقاً فهو عقل سطحي جداً وضعيف، نظراً لكونه يحيا دائماً مع ذكراته.

والآن، إذا لم يكن لدينا أي تجربة، فما الذي سيحدث؟ نتعلق بتجارب، وتحديات، لكي نبقي أنفسنا يقظين. وإذا لم يكن هناك صراع في داخلنا، وإذا لم يكن هناك تغييرات، واضطرابات، فلسوف نكون جميعنا نائمين نوماً طليقاً. وهكذا فالتحديات ضرورية لأغلبية الأشخاص، ونفكر أننا من دونها يصير عقلنا أحمقاً وثقيلاً، وبالنتيجة نتعلق بتحد، وبتجربة لكي نمتلك حيوية أكبر، وشدة أقوى، ولكي نملك عقلاً أكثر نفاذاً. لكن، بالفعل فهذا التعلق بالتحديات والتجارب، من أجل أن نحافظ على أنفسنا يقظين، نجعل عقلنا فقط أكثر ضعفاً أيضاً. ولا نبقي على أنفسنا يقظين بالفعل. وهكذا، أسأل نفسي: «هل من الممكن أن نبقي يقظين كلياً - وليس في بضعة نقاط من كياننا، وإنما

يقظين كلياً من دون تحدٍ أو تجربة؟» وهذا يتطلب حساسية كبيرة، سواء جسمانية، أو نفسانية، الأمر الذي يعني أنه يجب علي أن أكون حراً من المتطلبات كلها، لأنه في اللحظة التي أتطلب فيها تجربة فلسوف أحصل عليها. ولكي أظل حراً من تطلب الإشباع، يصبح ضرورياً تقصياً لنفسي، وإدراكاً كلياً لطبيعة التطلب.

كل تطلب يولد من الثنائية: «أنا شقي، وعلي أن أكون سعيداً». ففي هذا التطلب نفسه - علي أن أصير سعيداً - يكمن الشقاء. وعندما يجتهد شخص لكي يصير طيباً. ففي صيرورته خاصته طيباً يكمن النقيض - يكون شريراً. وكل ما يتم تأكيده فهو يحوي على نقيضه خاصته. والمجهود الذي يتم القيام به من أجل السيطرة عليه كلما جعل النقيض أكثر قوة ذلك الذي يصارع ضده. وعندما يتطلب تجربة الحقيقة أو الواقع - فهذا التطلب نفسه يولد من عدم رضاكم مع الموجود (أي الواقع الحقيقي)، وبالنتيجة فالتطلب يخلق النقيض. ويكمن في النقيض ما كان. علينا إذن أن نبقي أحراراً من هذا التطلب الذي لا يتوقف، نظراً لأنه على العكس لن ينتهي إطلاقاً رواق الثنائية. وهذا يعني معرفة الذات على نحو كامل تماماً لدرجة أن العقل لا يضع نفسه بعد في حالة سعي.

لا يتطلب العقل إذن تجربة، ولا يستطيع أن يطلب أو يعرف تحدياً، ولا يقول: «أنا نائم»، «أنا مستيقظ». فهو (أي العقل) كله، «الموجود». (أي ما هو عليه وبعبارة أخرى «الموجود» أو ما هو «كائن»). فقط العقل المحبب، والمحدود، والسطحي، والمشروط، يكون في سعي دائم للمزيد. فهل من الممكن إذن، أن نعيش في هذا العالم، من دون المزيد - من دون هذه المقارنة الدائمة؟ بالتأكيد، ولكن علينا أن نكتشف ذلك بأنفسنا.

أن نتقصى هذه المسألة بشكل كامل إلا وهي التأمل. فهذه الكلمة بقدر ما تم استخدامها في الشرق كذلك تم استخدامها في الغرب على نحو يدعو للأسف جداً. ثمة مدارس مختلفة للتأمل، ومناهج مختلفة، وأنظمة. وتعلم بعض هذه الأنظمة: «ارصد حركات الباهم الكبير لقدمك، ارصده، ارصده، ارصده». وأنظمة أخرى تدعو للبقاء جالساً في وضعية ما، والمرء يتنفس بانتظام أو يمارس الإدراك. كل ذلك آلي بشكل تام. ومنهج آخر يقدم لكم كلمة ما، ويُقال لكم، إنكم إذا أبقيتم على تكرار هذه الكلمة، فهي تتيح لكم تجربة ما أساسية، وخارقة. هذا مجرد سخف. إنها شكل من أشكال التويم المغناطيسي الذاتي. فإذا أبقيتم التكرار على نحو غير محدد مثل كلمة «آمين»... الخ، فمن الواضح أنكم ستحصلون على تجربة ما لأنه من خلال التكرار فالعقل يهدأ. وهذه ظاهرة معروفة جداً، وتُمارَس منذ آلاف السنين في الهند وتُدعى المانترا يوغا. فمن خلال التكرار، يمكن استمالة العقل لجعله غضاً ناعماً، إلا أنه يستمر صغيراً جداً، وسوقياً، وخسيساً.

ليس التأمل اتباعاً لنظام، وليس تكراراً، ولا محاكاة مستمرة. ليس التأمل تركيزاً. فأحدى الأعيب بعض مدربي التأمل تكمن في إلحاحهم على تعليم تلاميذهم «التركيز»، أي تثبيت العقل على فكرة، وطرد الأفكار الأخرى كلها. وهذه هي إحدى الأشياء الأكثر حماقة، والأكثر ضرراً، وأي طالب ثانوية يكون قادراً على القيام به (أي التركيز)، إذا كان مضطراً لذلك. فالتركيز يعني أن يبقى المرء مشتبكاً في معركة متواصلة بين الإيجاب على تركيزه من جهة، وعقله من جهة أخرى الذي يحاول الهروب إلى أشياء أخرى ومتنوعة - في الحين، أنه على العكس من ذلك - يجب علينا أن نكون متيقظين لكل حركة في العقل إلى حيث

تريد الذهاب. وعندما يهرب عقلكم، فهذا يعني أنكم مهتمون بشيء آخر.

يتطلب التأمل عقلاً يقظاً للغاية، فالتأمل هو فهم كلانية الحياة، حيث لا يوجد أي نوع من التجزيء. ليس التأمل سيطرة على الفكر، لأنه عندما تتم السيطرة على الفكر، فهذا يؤدي إلى صراع في العقل، ولكن عندما تُفهم البنية، ومصدر الفكر، هذا الموضوع الذي درسناه سابقاً، إذن الفكر لن يتدخل بعد. وهذا الفهم لبنية التفكير هو الانضباط عينه الذي هو التأمل.

التأمل يعني أن تكون واعياً لكل فكرة، ولكل شعور، وعدم القول إطلاقاً إنه صحيح أو خاطئ، وإنما الرصد ببساطة ومرافقة حركته. وفي هذا التيقظ، تفهمون الحركة الكلية للفكر والشعور. ومن هذا التيقظ يأتي الصمت. فالصمت المخلوق من خلال الفكر يكون ركوداً، شيئاً ميتاً، بينما الصمت الذي يأتي عندما يفهم المرء بنية الفكر ومصدره الأصلي، وطبيعته الخاصة، ويُفهم أنه ما من فكر أياً كان هو حر، وإنما هو قديم دائماً - فهذا الصمت تأمل، وحيث المتأمل يكون غائباً عن الكل لأن العقل تم إفراغه من الماضي.

وإذا قرأتم هذا الكتاب خلال ساعة فهذا تأمل. وإذا تناولتم كلمات قليلة منه، وجمعتُم بضعة أفكار من أجل أن تتبصروا فيها مؤخراً، فهذا إذن لن يكون تأملاً. فالتأمل هو حالة حيث ينظر فيها العقل الأشياء كلها بكل انتباه، وليس فقط ببضعة أجزاء منها. لا أحد يستطيع تعليمكم أن تنتبهوا. وإذا كان نظام ما يعلمكم أن تكونوا منتبهين فإنكم إذاً تكونون منتبهين للنظام، وهذا ليس انتباه. فالتأمل هو أحد أعظم فنون الحياة - ربما أعظمها كلها - ولكن لا يمكن تعلمها من أحد بأي شكل من الأشكال - وفي هذا تكمن جماليتها. فالتأمل لا تقنية له،

وبالنتيجة ما من سلطة عليه. وعندما تكونون في حالة تعلم لمعرفة ذواتكم فعلاً، وعندما ترصدون، وترصدون طريقكم في المشي، وفي ما تقولونه، وهذركم، وكراهيتكم، وغيرتكم. فإذا ما كنتم واعين لهذا كله في داخل ذواتكم، من دون أي خيار، فهذا يشكل جزءاً لا يتجزأ من التأمل. وهكذا، فالتأمل يمكن التحقق منه عندما تكونون جالسين في باص أو تتزهون في غابة كلها نور وظلال، أو تصفون لتفريد الطيور، أو تنظرون إلى وجه امرأتكم أو ابنكم.

ففي الفهم المعطى من خلال التأمل ثمة حب، والحب ليس نتاج الأنظمة، والعادات، والامثال المنهج. لا يمكن للحب أن يتم تغذيته من خلال الفكر. يمكن للحب ربما أن يولد عندما يكون هناك صمت تام، صمت يكون المتأمل غائباً عن كل شيء، ويكون العقل قادراً فقط على الصمت عندما يفهم حركته خاصته مع الفكر والشعور. ومن أجل أن يفهم حركة الفكر والشعور هذه، فلا يمكن أن تتواجد إدانة بينما يتم رصدها. الرصد بهذه الطريقة هو انضباط، وهذه الصفة للانضباط متدفقة، وحررة، وعلى هذا النحو ليس هو انضباط التكيف وفقاً لنموذج ما.

الفصل السادس عشر

انصبَّ محور اهتمامنا في صفحات هذا الكتاب دائماً على التحقيق في داخل ذواتنا نحن وفي حياتنا، ثورة كلية خارج البنية الاجتماعية الموجودة والحال ما هي عليه. والمجتمع كما هو مؤسس حالياً، فهو شيء مرعب بحروبه التي لا تنتهي - لا يهم فيما إذا كان العدوان دفاعياً أو هجومياً. نحن بحاجة إلى شيء جديد كلياً، إلى ثورة، لتغيير في النفسانية Psique نفسها. وليس للدماغ القديم أي إمكانية لحل مشكلة العلاقات الإنسانية، فالدماغ القديم هو بشكل أو بآخر إما آسيوي أو أوروبي أو أميركي أو أفريقي، وعلى هذا النحو نسال أنفسنا فيما إذا كان ممكناً أن نجري تغييراً في الخلايا الدماغية نفسها.

نتفحص أيضاً، بأننا وصلنا الآن إلى فهم أنفسنا فيما إذا كان ممكناً لكائن إنساني أن يعيش حياته الطبيعية من يوم إلى يوم في هذا العالم الوحشي، والعنيف، والقاسي - عالم يتحول في كل مرة إلى عالم أكثر فعالية، وبالتالي أكثر قسوة مرة بعد مرة - وإذا كان ممكناً لهذا الكائن الإنساني إثارة ثورة ليس فقط في علاقاته الخارجية، وإنما أيضاً في كل مجال تفكيره، وشعوره، وفعله، وتفاعله.

رأينا في الأيام كلها، أو قرأنا أشياء مروعة تحدث في العالم كنتيجة للعنف الموجود في الإنسان. هل تستطيعون القول: «لا أستطيع فعل أي شيء في هذا الخصوص» أو «كيف أستطيع التأثير في العالم؟».

أظنكم تستطيعون التأثير في العالم بطريقة تدعو للإعجاب إذا لم تكونوا في داخلكم عنيفين، وإذا كنتم تحيون فعلاً في كل يوم حياة مسالمة، وحياة من دون تنافس، ومن دون جشع، ومن دون حسد، حياة لا تتسبب بالعداوة. إن شعلة صغيرة قد تتحول إلى حريق. قلصنا العالم إلى مستواه الحالي من الفوضى بسبب نشاطنا المتمركز على الأنا، وأحكامنا المسبقة، وقوميتنا، وعندما نقول إنه ما من شيء نستطيع فعله بهذا الخصوص، ونحن في قبول على أن الفوضى الموجودة في داخل أنفسنا أمر حتمي. نغادر العالم المتشظي، وإذا كنا نحن أنفسنا منطلقين ونحن متشظون فإن علاقتنا مع العالم ستكون هي أيضاً متشظية. ولكن إذا ما حصل حينما نفعل ويكون فعلنا كلياً، فإذاك علاقتنا مع العالم تنتقل إلى ثورة عظيمة.

وبالنتيجة، فكل حركة تستحق المجهود، وكل فعل عميق المعنى، يجب أن يبدأ في كل واحد منا. عليّ أن أتغير أولاً، وعليّ أن أرى ما هي طبيعة وبنية علاقتي مع العالم - وفي فعل الرؤية نفسه يكمن الفعل - وبناء عليه، ككائن إنساني يحيا في هذا العالم، يجب عليّ أن أخلق شيئاً مختلفاً، وهذا الشيء في نظري هو العقل الورع.

يختلف العقل الورع بشكل كامل عن العقل الذي يقوم معتقده على أساس ديانته التي ينتمي إليها. وليس بالإمكان أن تكون ورعاً، وفي الوقت نفسه، هندوسياً، مسلماً، مسيحياً، بوذياً. فالعقل الورع لا يسعى إلى شيء، ولا يستطيع أن يخوض تجارب مع الحقيقة. فالحقيقة ليست شيئاً ما مفروضاً من أجل سروركم، أو من أجل المكّم، أو من أجل اشراطكم الهندوسي - أو أيّاً كان الذي تنتمون إليه. العقل الورع هو حالة روحية حيث لا يوجد فيها خوف، وبالتالي فليس هناك عقيدة من أي نوع كانت، العقل الورع يكون ما هو عليه فعلياً.

ثمة في العقل الورع تلك الحالة من الصمت الذي قمنا بتفحصه لتونا، وهو ليس نتاج الفكر، وإنما هو وارد عن الإدراك، أو عن التأمل مع غياب كامل للمتأمل نفسه. ففي هذا الصمت ثمة حالة من الطاقة مجردة من الصراع. الطاقة هي فعل وحركة. وكل فعل هو حركة، وكل فعل هو طاقة. وكل رغبة هي طاقة. وكل شعور هو طاقة، وكل فكر هو طاقة. العيش كله هو طاقة. الحياة كلها هي طاقة. فإذا ما تُركت هذه الطاقة تتساقط من دون أي تناقض، ومن دون أي تصادم، ومن دون أي صراع، فهي إذاك غير محدودة، لا نهائية. وعندما لا يكون هناك تصادم، لا تتواجد حدود للطاقة. فالتصادم هو الذي يعطي حدوداً للطاقة. وهكذا فمع إدراك ذلك كله، لماذا الكائن الإنساني يُدخل دائماً المصادمة في الطاقة؟ لماذا يخلق احتكاكاً في هذه الحركة التي ندعوها بـ«الحياة»؟ فالطاقة نقية، والطاقة غير المحدودة هل هي بالنسبة لكم فكرة فحسب؟ ليس لها أساس من الصحة؟

نحتاج للطاقة، ليس فقط لكي تدعم الثورة الكلية في داخلنا نحن أنفسنا، ولكن أيضاً من أجل أن نتمكن من التفحص، والنظر، والعمل. ولطالما أنه يتواجد تصادم من أي طبيعة، وفي أي من علاقاتنا، سواء كان زوج وامرأة، سواء بين رجل وآخر، وبين جماعة وجماعة وأخرى، أو بين دولة ودولة أخرى، أو بين أيديولوجية وواحدة أخرى - فإذا كان هناك أي تصادم داخلي أو خارجي على أي هيئة حتى لو كانت على الوجه الأكثر رفعة - فثمة تبديد للطاقة.

ولطالما أنه يتواجد فاصل زمني بين الراصد والشئ المرصود، فهذا الفاصل سوف يخلق تصادماً. وبالنتيجة تبديد للطاقة، وتتراكم هذه الطاقة حتى أعلى درجة عندما يكون الراصد هو الشئ المرصود، وفي هذا ليس ثمة راصد زمني. ستتواجد إذن طاقة من دون حافظ،

حيث سنعثر فيها على القناة خاصتها للفعل، لأنه فاله «أنا» إذاك لن يكون موجوداً.

نحتاج إلى وفرة عظمى من الطاقة لكي نفهم الفوضى التي نحن في صدد العيش فيها، والشعور «علي أن أفهم» يُنتج الحيوية الضرورية من أجل الفهم. ولكن، الاكتشاف، والتفحص، يقتضي الزمن، وكما رأينا، فالتحرر التدريجي من إشرط العقل ليس هو الأسلوب السليم للعمل.

والزمن أيضاً ليس هو الطريق الصحيح. سواء كنا شيوخاً، أو فتياناً، فالآن وهنا تكمن العملية المتممة للحياة التي يمكن أخذها إلى بُعد مختلف، والبحث عن النقيض الذي نحن لسنا إياه، ولا الطريق الصحيح، وأيضاً ليس هو ذلك الانضباط السطحي المفروض من خلال نظام، أو من خلال معلم، أو فيلسوف أو كاهن، فهذا كله طفولي جداً. وعند إدراكنا لهذا، نسأل أنفسنا: «هل من الممكن أن نحرر أنفسنا للحال من هذه الحمولة لإشرط دنيوي وثقيل، من دون أن نسقط في إشرط آخر - أن نكون أحراراً ويعقل جديد على نحو تام، وحساس، وحي، ومتيقظ، وقوي، وقادر؟» وهنا مشكلتنا. فليس ثمة مشكلة أخرى، لأنه عندما يتجدد العقل يكون قادراً على مواجهة، وحل أي مشكلة، فهذا هو السؤال الوحيد الذي علينا توجيهه لأنفسنا.

ولكننا لا نفعل ذلك. الأفضلية لنا هي أن يتم تعليمنا. وأحد الجوانب الأكثر فضولاً لبنية نفسانيتنا هو أننا نريده نحن جميعنا، وأن يتم تعليمنا لطالما أننا نتاج لدعاية عمرها نحو العشرة آلاف سنة. نريد رؤية طريقتنا في التفكير مؤكدة ومثبتة من خلال آخرين. وفي اللحظة التي نقوم فيها بتساؤل فهو موجه إلى أنفسنا نحن. وما أقوله له أهمية ضئيلة جداً. فأنتم ستسونه في اللحظة نفسها التي تقومون فيها

بإغلاق هذا الكتاب، أو أنكم ستتذكرون بعض جملة، التي تظنون
تكررونها، أو ستقارنونها بما قرأتموه هنا مع ما قرأتم في كتاب آخر، ولا
تريدونه رؤية حياتكم خاصتكم مواجهةً. وهي فقط التي تهتمكم:
حياتكم، وجشعكم، ونزاعكم اليومي، وعذابكم اللانهائي، فهذا هو الذي
عليكم أن تفهموه، ولا أحد، لا في الأرض، ولا في السماء يستطيع
إنقاذكم إلا أنتم أنفسكم بأنفسكم.

فهرس

5 مقدمة المترجم: كرىشنا مورتى
17 الفصل الأول
31 الفصل الثانى
41 الفصل الثالث
47 الفصل الرابع
53 الفصل الخامس
65 الفصل السادس
75 الفصل السابع
85 الفصل الثامن
91 الفصل التاسع
99 الفصل العاشر
111 الفصل الحادى عشر
119 الفصل الثانى عشر
125 الفصل الثالث عشر
131 الفصل الرابع عشر
137 الفصل الخامس عشر
145 الفصل السادس عشر

Krishnamurti intimo

«إن التحرر الحقيقي هو «حرية داخلية للحقيقة الإبداعية». وهذا ليس هبة، يجب أن يُكتشف ويُجرب. ليس شيئاً تكسبونه لأنفسكم من أجل تمجيد أنفسكم. إنه حالة وجودية، كالصمت، وليس فيه صيرورة بل كمال.»

«يجب أن يُعثر على هذا الكنز الخالد، حيث الفكر يحرر نفسه من الشهوة، والحقد والجهل، حيث يحرر الفكر نفسه من الدنيوية والتوق الشخصي كي يكون. يجب أن يُجرب عبر التفكير والتأمل. إن وعي الذات اللاخيارية سيقودنا إلى الحقيقة الإبداعية التي تكمن خلف جميع ادعاءاتنا المدمرة إلى الحكمة الهادئة التي هي موجودة دوماً، برغم الجهل، برغم المعرفة التي هي مجرد جهل في شكل آخر.»

«إن ذهننا جاء إلى هدوء الوجود «سيعرف الوجود، سيعرف ما الحب. فالحب ليس شخصياً ولا موضوعياً. إن الحب هو الحب ويجب ألا يعرفه أو يصفه الذهن كحصري أو شامل. إن الحب هو أبدية الخاصة، إنه الحقيقي، والأعلى، والذي لا يُقاس.»

كريشنامورتي